الفتى العشريني

وسيم محمد

اسم الكتاب: الفتى العشريني
اسم الكاتب : وسيم محمد عبد اللطيف
تدقيق وتنسيق: نورهان هاني
تصميم الغلاف: مي مجدي
رقم الإيداع: ٢٠٢٥/٢٣٧٥م
الترقيم الدولي: ٨-٧٧-٨٧٩١-٩٧٧-٩٧٨

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية

الفتى العشريني

مؤسسة الكاتب العربي
The Writer Operation

لا يهم أن يقرأ أحد لى الآن

ما يهمنى هو أن أكتب أن أخرج ما فى جوفى من كلمات

أن أُهون على نفسي بهذه الكلمات

فإن انتفع أحد بها لاحقاً فهذا من فضل الله

وإلا فقد أدت ما قد كُتِبت لأجله

إن بقيت لىّ بعد الممات وأصبحت ولدى المخلد

فهذا من فضل الله

وإلا فإنها على أسوء تقدير ستموت بموتى

أعلم أنها ستسبب لي المتاعب والمشاكل

ولكن لكل أمر عظيم ما يستحق من عناء

إهداء إلى

كل تلك الشدائد والصعاب التى كلما كانت

تحاول ان تفت فى عضدى زادته قوة وصلابة

إهداء إلى

أبي وأمى وأخواتى أن جعلانى من الأسوياء، فلم تؤثر

بى تلك الشدائد بفضل عطفهم ورعايتهم وارشادهم

إهداء الى

زوجتى وحبيبة قلبى وأنيستى ومؤنستى ومعينتى

على صعاب الحياة

الفهرس

المقدمة	٨
وحدة الروح لا وحدة الجسد	٩
بين أحلام المثالية والكمال وبين مادية الحياة	١٥
ماذا لو فقدنا التكنولوجيا	١٩
ماذا بعد	٢٧
مع الحياة أم الحياة معنا	٣٩
غاياتك أم نتائجك	٥٥
بين عقلك الراجح والحاجة للسكن والمرشد	٧٧
إليك يا أنا	٨١
صراع العقل والقلب	١٠٣
أعمارنا أيامنا أم الامنا	١٢٥
منتصف العشرينات حيث التشتت والضياع	١٣٥
نجاتك في معاهدة القران	١٤٥
الخاتمة	١٤٩

المقدمة

شعور الوحدة قاتل، رغم كل من حولك، رغم الأيادى المبسوطة إليك لتتلقاك، رغم كم الأسئلة التى فحواها الاطمئنان عليك، رغم كل هذا، إلا أن شعور الوحدة قاتل، ذاك الشعور حينما لا تجد من يشاركك ما بداخلك، فتكتفى مع من يحيطون بك بالجلوس والابتسام، وعلى الأيادى الممتدة بالسلام، وعلى الأسئلة بقولك الحمد لله نتقلب فى نعم الكريم، وتبقى انت حبيس ما بداخلك، لا تدري هل هو ما بداخلك أم انت ما بداخله، والأصعب ألا تجد ما تعبر به عما يحتويه صدرك ويدور فى خاطرك، فتظل تردد لا أدرى.

الحائر

وحدة الروح لا وحدة الجسد

فى نهاية عامى الرابع والعشرين وبداية الخامس والعشرين ، ربما ما يجب أن أكون عليه الآن بعيد عما أنا عليه الآن فعلاً ، بل ما أتأكد منه جيداً أن ما كنت أريد كونه بعيد كل البعد عما أنا عليه حقا ، ولكنى على يقين أن ما قدره الله هو الخير بلا شك ، فإن أخر فذاك هو الخير ،وإن قدم فهذا هو الخير ، إن أعطى فهو المعطى وإن منع فمنعه قمة العطاء ، سبحانه وتعالى لا يرد عبدا سأله وناجاه.

لذلك يا أخى إنى ناصحك نصيحة شاب أوشك على بلوغ ربع قرن من عمره ، كن على يقين أن كل شيء سيمر ، وأن العسر واليسر معنيان متضادان لن تشعر بأحدهما إلا إذا ذقت الآخر ، فهذه هي الحياة ، خطط لحياتك واسعى وابذل وفى نفس الوقت كن راضيا بأى شيء تصل إليه ، فطالما أنك بذلت استطاعتك فاعلم أنه قدر الله ، عش كل يوم كأنه الأخير في حياتك ، عش كإنسان ، وإياك ثم إياك أن تدفعك الحياة وضغوطاتها لأن تعيش مع القطيع بلا هدف ولا غاية .

ولكن رغم كل هذا الا أن الحيرة ما زالت تنهش رؤوسنا من كثرة ما تحدثه فيها ، فى كل قرار هناك عشرات الاختيارات ومئات الاحتمالات وألاف الأسئلة والإجابات ، ولكن هناك قدر واحد نافذ بأمر الله ومشيئته ، ربما ندعو لنرده أو لنغيره ولكن ماذا لو كان هو الخير .

نسعى ونخاف من التقصير ، نتوكل ونخاف من التواكل ، على يقين أن الخير هو ما سيكتبه الله بلا شك ومع ذلك المجهول يقلقنا.

فلو كان بإمكان المرء معرفة الغيب أو القدرة على التحكم فى مجريات الأمور ، لكان كل شئ هين على قلبه ، أما عدم معرفتك لما سيحدث غداً يجعلك دائما فى ترقب ، وعدم قدرتك على التنبؤ بما سيكون رغم اجتهادك فى التسديد والمقاربة يجعلك فى تخبط بين كل القرارات التي ستأخذها ، ويجعل عقلك يكاد أن يشت من كثرة الاحتمالات الممكنة ويجعل قلبك يعانى ويتألم .

أعلم أن الطريق لن يكون ممهداً ، حتماً ولابد سأجد فيه ما ينغص علىَّ حياتى ، ويفقدنى الراحة فى كل خطوة ، علمى بأن الأمور لن تسير كما أريد يريحينى قليلاً من عناء الفكر والتقدير ، ولكن صحة الطريق تقلقنى دائماً .

بعد كل خطوة أقف حائراً ، هل هذا ما أريده ؟! ، هل هذا ما أطمح إليه وأسعى إليه سعياً حثيثاً ؟! ، هل سأصل بذلك إلى مبتغاى ؟! ، هل هل هل .....

أسئلة جمة تدور فى خاطرى ، لا يصرفها إلا حسن ظنى بربى ، وأن هذا الطريق كان اختياره لى بعد تسديد ومقاربة وكثير من صلوات الاستخارة ، شعورى بأن البدايات دائماً شاقة يريحينى قليلاً ، ثم أتسائل مرة أخرى ، طالما أنك ستتحمل صعوبة بداية الطريق ، فلماذا لا تتحمله فى سبيل ما قاتلت لأجله سنوات مضت ؟! .

أحياناً كثيرة أشعر بالغباء ، فى كل مرة أحزن على نفسى فيها يراودنى إحساس أنى كتلة من الغباء متحركة ، إحساس أنك لا تستحق هذا ، أنت قيمتك اكبر من ذلك بكثير ، إحساس أنك ضيعت الفرص العظيمة وتحاول إقناع نفسك بأشياء لا تذكر ، اتخاذك لقرارات منافية لكل منطق ، فلا منطق يؤيدها ولا حتى بديهيات ، ولكنك ما زلت سائراً وراء عقلك وقلبك ، لا تدرى إلى أين سيذهبان بك ، تحاول اتباع أحلام تدعى شغفاً وطموحاً ولا تدرى إلى أين المصير ، ولكن المحزن حقاً أن ترضى وتسعى فى اتجاه شىء لا تعلم كيف الوصول إليه ولا أين السبيل ، والأدهى والأمر أن تفقد بمرور الأيام ما تطمح إليه وتحاول إقناع نفسك بواقعك الأليم ، اننا تائهون فى بحور الدنيا ولا نملك شراعاً ، إنما تركنا الأمواج تتقاذفنا ولا ندرى إلى أى شاطئ سنصل ومتى ؟! .

لا أدرى أين الراحة وكيف ، هل هى فى الاعتزال ، أم فى السير مع القطيع ، ينظر لك الناس من حولك كأنك مبتلى ، يحاولون مواساتك ببعض الكلمات ، فى حين أن هذه الكلمات تسقط عليك كأنها حجارة من سجيل تجعل قلبك كعصف مأكول .

لا أخفيك سراً ، باتت الدمعات تتسابق بمجرد سماع هذه الكلمات ، لولا مصارعة نفسك ومحاولة إخفاء ضعفك لأصبحت الطرقات أنهاراً جراء دموعك فقط ، فما أن تسمع هذه الكلمات ومثيلتها إلا وتصعب عليك نفسك وتلعن كل جهدك الضائع هباءً منثوراً .

لا أدرى هل السبب فى ما أنا فيه أنى أقحم نفسى فى تحديات أكبر منى وأنى لست كفؤا لها ، أم أن الواقع هو ما يحيل بينى وبين ما أحمل فى صدرى ، تريد أن تكون عظيماً يوماً ما وتسعى لذلك سعياً حثيثاً ، ولكن كل من حولك لا يريدونك إلا فرداً متميزاً فى القطيع ، فلا أحد يقدر ما تعانى وصراعاتك الداخلية بل وتحديات واقعك ، أظن الكل لا يهمهم إلا لحظة الوصول التى يريدونها فقط .

أظن كل ما أحتاجه الآن أن أسكن فى إحدى الغابات على إحدى ضفتى نهر ، منعزل عن العالم أجمع ، لا أرى إلا نفسى وفقط .

ولا أسمع إلا صوت أفكارى ، بل أتمنى أن ينتهى ضجيج أفكارى هو الآخر ويذهب بلا رجعة ، أريد أن أرتاح من الفكر ومن تلك الهشاشة النفسية التى تملكتنى هذه الفترة ، أريد أن أرتاح من كل ما دار في ذهنى وقلبى تلك الفترة الماضية ، بل أتمنى أن أنسى كل التطور الذى حدث فى شخصيتي وأسلوب تفكيري ورساخة مبادئى ومعتقداتى ، الآن أريد أن أنام بلا قومة ، فلتذهب روحى إلى حيث الهدوء والسكينة حيثما كان.

فلطالما لا تسير الحياة كما نريد ، فلماذا نشغل أنفسنا بالتخطيط والتقدير لما هو آت ، لطالما مقتنعين بأن الله يدبر لنا الخير ويختار لنا الأصلح ، فلماذا ندخل أنفسنا فى متاهات الحيرة والتردد ، لطالما كانت الحياة مملة والإنسان فى كبد ، فلماذا نحاول الوصول إلى الراحة فى دنيا العناء ، لطالما أننا فى اختبار ينتهى بمفارقتنا للحياة وانقضاء آخر نفس ، فلماذا لا نسعى للحل دون أن ننتظر النتيجة بعد كل سؤال ، أظن أن الأمر محير ولكن ما علينا سوى السعى ، ربما تغيب الوجهة أحياناً ولكن كن على يقين أنك إن صدقت الله صدقك فهو القائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، فاستقم كما أمرت ولا تتبع الهوى فتضل به عن سبيل الله ، إياك أن يزين لك الشيطان ويغويك فتجد ما تسعى إليه لا يتحقق فتظن بربك السوء فيصيبك الإحباط ثم التخاذل ثم تكون ممن نكص على عقبيه فضل سواء السبيل ، أعيذك بالله من هذا ، ولكن احذر ، خض طريقك وسدد وقارب والباقى على رب الأسباب.

بين أحلام المثالية والكمال

وبين مادية الحياة

أيها الفتى العشرينى ، لتعترف أنك فى موقف لا تحسد عليه ، فبينما تلهث انت وراء أحلام وردية ، ساعياً وراء المثالية والكمال ، يصنع أقرانك مجدهم الخاص ، ليس أقرانك فى وطنك ، فإنهم يعانون مما تعانى بل أكثر ، فإنهم مخيرون بين أن يفقدوا آدميتهم ، فيظلوا يركضون خلف المادة متناسين أحلامهم وطموحاتهم كل هذا فقط ليحظوا باستقلالية مادية ولو بسيطة ، ثم يحصلون على زوجة وهم قد شارفوا على إنهاء ذلك العقد المشؤوم عقد العشرينات ، ليدخلوا الثلاثينات ليبدأوا فى معاناة جديدة بين أن يعودوا لذاتهم ام يستمرون فى اللهث وراء فُتات العيش ومتطلبات الحياة .

إنما أقصد بأقرانى من هم كانوا فى مثل عمرى ، سواء كانوا فى أزمان شتى أو أماكن شتى ، يقولون أن هذا العمر فيه قمة العطاء وقمة تحقيق الأحلام ، بل وقمة الإبداع والابتكار ، ولكن يؤسفني أن أخبرك أن فى بلادى تقضى هذه الفترة فى التفكير للحصول على وظيفة ومن ثم توفير أقل متطلباتك الحيوانية ، أو لتعيش وراك أحلامك وأفكارك وتعيش كإنسان ، فحتما ستفقد جزءً من فطرتك البشرية ولابد .

إن العولمة المفروضة علينا ، خاصة بعد الثورة المعلوماتية وتطور التكنولوجيا وتوفر الانترنت ، كل هذا فتح أعيننا على العوالم المحيطة ، وأبرز الفجوة الواسعة بين مختلف الشعوب وبين طبقات الشعب الواحد ، وما زاد الطين بلة ، أن هذا النظام وضع تكافئ الفرص شعاراً له ولكن المحزن أن الإمكانيات غير متكافئة إطلاقاً ، بل إن البديهى لدى شعوب ، هو غاية عند شعوب أخرى ، فينشأ الواحد منا يتطلع إلى بلوغ الأمانى وتحقيق المراد ، ولكن يفاجأ بأن إمكانياته لا تكفيه حتى لكى يعيش مع القطيع ، ثم يظل فى صراع ظاناً أنه سيغير العالم وينجز ما لا يمكن إنجازه بالنسبة لما يحيط به ،

فرغم ثقته بربه ويقينه التام بقدرة الله عز وجل ، واستطاعته سبحانه بتبديل الأحوال بين غمضة عين وانتباهتها ، إلا أنه يشعر بالقلق أحياناً كثيرة ، فما زال جندى الغيب يرهبه كثيراً ، ولن يستطيع التغلب عليه يوماً ، فكيف تتغلب على مجهول؟! .

فمنذ نشأتنا فى المدارس وهم يلقنوننا أن العالم أصبح قرية صغيرة ، وأصبحت الأخبار تتناقل فى نفس اللحظة مهما طالت المسافات والأسفار ، أخبرونا بذلك ، وأخبرونا أيضاً أن هذا يعرف بالعولمة ، وأن هذا من نتاج التكنولوجيا والثورة المعلوماتية ، أخبرونا أن التطور أصبح فى كل شىء وخاصة الآلة ، صعود للقمر ، محاولة للعيش على المريخ ، تخليق جينات ، وأيضاً صواريخ عابرة للقارات

حروب وصراعات تطورت فيها المادة وانحط فيها الإنسان ، ثورات ونكبات خلفت ورائها شعوب كارهة للحياة ككرهها للمستبد الظالم ، وأخيراً انفتاح بين الثقافات المختلفة والطبقات المختلفة ؛ خلف وراءه عدم رضا وصراعات نفسية تطول الشاب والكهل العجوز

أظن أن انفتاح الكل على البعض ، ونظرة البعض للكل ، قد خلفا ورائهم ما لا يمكن تصوره من انهيار للعنصر الأساسي فى الكون وهو الإنسان ، إدخال الإنسان فى صراعات لا تحكمها سوى المادة هو قتل متعمد لذلك الإنسان ، بل هو تصفية نفسية واغتيال معنوى قبل أن يكون تصفية جسدية إما بالانتحار أو اهلاك نفسه فى شتى الدروب.

ماذا لو فقدنا التكنولوجيا

راودنى كثيراً سؤال ، ماذا كان الحال قبل ما يسمونه تطور التكنولوجيا ؟! ، ماذا كان حالهم قبل وجود الإنترنت والهاتف والجهاز اللوحى المحمول وكل هذه الأشياء التى تجعل شرق الأرض وغربها قرية صغيرة بل كبيت صغير يتناقل أفراده ما يحدث فيه في نفس اللحظة .

لنكن منصفين للحظة ، إن لهذه التكنولوجيا فوائد عظيمة وايجابيات جمة لا يسعنى الحديث لذكرها الآن ، ولكن ، تكمن المشكلة فى لكن هذه .

أتذكر سؤالي ؟! ، لقد وجهته لكثير من الناس ممن هم قاربوا على إكمال عقدهم الثامن أو التاسع ، ممن لم يصل لهم ما يطلقونه عليه الآن الحداثة فى شبابهم وصباهم ، فلم أجد واحداً منهم اشتكى الحال رغم البؤس الذى عاشوه ، فجدى على سبيل المثال - أطال الله عمره - كان فى مثل عمرى هذا مجنداً فى الجيش ، حضر النكسة وأصيب أثناء حرب الاستنزاف ، أخبرنى مرة أنه ظل ثلاثة أيام فى الخندق تحت الأرض - أو لا اذكر اسمه حقيقة - هو ومعه ثلاثة آخرين ، هؤلاء هم كل من تبقى من كتيبة كاملة بعد أن فعل بهم طيران العدو المحتل المغتصب لأرضنا ولعرضنا ولمقدساتنا - المدعو إسرائيل - الأفاعيل ، وأمطرهم بوابل من القذائف والقنابل والصواريخ ، فأهلكتهم جميعاً عن بكرة أبيهم ، فأدى ذلك حتى إلى إغلاق فتحة الخندق هذا .

لا أعلم ماذا كان شعوره حينها ، ولكن أقدار الله حقاً غريبة ، ينجو من الموت مرات بأعجوبة ثم يعمر فى الأرض ما يقارب الثمانون عاماً - أطال الله عمره - ، ولكن الغريب أنه أمام كل هذه الهزائم النفسية والجسدية لم يشكُ ، ولنكن صادقين أنه أخبرنى يوماً أنه بعد أن خطب وأثناء حرب الاستنزاف كانت تمر عليه الدقائق أيام .

على كل حال ، فجدى لم يكن متعلماً ولا أعرف حقيقة كيف تعلم القراءة والكتابة ، ولم يكن صاحب مهنة ، بل كان فلاحاً ، ثم تتغير الأحوال وتتبدل الأزمان ويصبح الغنى فقيراً والفقير غنياً بعد قانون الإصلاح الزراعي ، ولكن الشاهد من هذا كله أنه رغم كل هذا إلا أنه تزوج باليسير وأنجب وعاش حياته كلها وهو يظن أن الزمان لم يجد بمثله وأنه نبغة زمانه وحكيم عصره ، وهنا يكمن مربط الفرس

أظن أن ما دفعه لذلك هو أن البيئة المحيطة به هى من جعلته يظن ذلك ، كانوا يمتلكون المعرفة عن طريق الخبرة ، وبما أن جدى كان جندياً ومن ثم أصبح فلاحاً تاجراً ، فقد اكسبته الحياة من تجاربها الكثير تلك الخبرة التى هى سبيل المعرفة ، ولكن رغم ذلك آتى أنا مثلا - من لم أبلغ ربع عمره - لأحطم كل خبراته تلك بكتاب قرأته فى مجال ما أو فى حقبة زمنية ما

بعد أن دار كل هذا فى ذهنى واكثر منه ، خلصت إلى أن ما أنا فيه خاصة وجيلى عامة هو نتاج تلك العولمة ، أن ترى بعينيك مستوى الخدمة الصحية فى بلاد ما ثم ترى تدهور الرعاية فى وطنك ، ثم تنظر فى بلاد أخرى فتجد فارق التعليم وجودته ، فبينما انت تعانى لإيجاد مكان آدمى تتعلم فيه ، وإمكانيات قليلة تعينك على ذلك فى ظل منظومة تقتل بداخلك أى إبداع وتغتال أى طموح ، هم فى تلك البلاد وفروا للطالب ذا العشر سنوات أو أقل ما لم يتوفر لك كطالب

جامعى ، ثم تنظر فى شتى المجالات ترى البين شاسع والفرق مرعب ، سواء المواصلات ، الصناعات ، الدفاعات الحربية ، الغذاء ، حتى فى الزراعة ، ترى حالك وحال وطنك الذى يرثى له الجبين ، أترى بعد كل هذا أن يكون بإمكانك الراحة من عناء التفكير وعقد المقارنات؟! ، أترى إغتيال نفسى أكثر من هذا ؟! .

فأنت فى قومك - بفكرك هذا وطبيعتك وسجيتك وأخلاقك .... الخ - من أخيارهم ، فإن هم أحسنوا فأنت أحسنهم ، وإن أساؤوا فأنت المحسن فيهم ، ولكن حين تخرج من قريتك الصغيرة إلى قريتك الكبيرة المدعوة العالم ، فترى نفسك بين الصالحين فُتات ، وبين المصلحين بعض ذرات غبار هبت بهن الريح فى مكان سحيق ، أنت لا شىء فى هذا الكون الفسيح ، ولن يخسر الكون شيئا بفقدانك ، ولكن حينما تعود إلى قريتك الصغيرة تجد أنك فخار العائلة ومجدها المرتقب ، وكل من فى القرية ينظر إليك نظرة إجلال وتقدير ، فتعود نفسك إليك وتهدأ قليلاً ، ثم ما تلبث إلا أن تنصدم بما يدور فى القرية الكبيرة فتجد أنك فى مكانك رغم جهدك المضنى ، فتشعر أحياناً بفقد الدافع للحياة ، فهناك فجوة تحتاج أعماراً فوق عمرك كى تلتئم .

ومن هنا كانت الفكرة فى محاولة العيش بطريقة ما قبل التكنولوجيا ، قبل صناعة الهاتف وقبل وجود الإنترنت وما يتعلق بهما من مواقع وبرامج وتطبيقات ، ما الذى سأفقده ؟ ، وما الذى سأكتسبه؟

ها أنا الآن بعد أن مضى حوالى ثمانية و أربعون ساعة على اعتزالى لكل ما يربطنى بالعالم الخارجي ، أغلقت وسائل التواصل الاجتماعي ومن ثم الهاتف وكذلك اللاب توب ، حتى التلفاز لا أجلس أمامه ، قطعت الصلة بينى وبين العالم الكبير لأعود لقريتى الصغيرة لعلنى أجد ذاتى من جديد .

لا أخفى عليك سراً ، الأمر مريح جداً حتى الآن ، لا تشغل بالك بأى شىء ، ربما حتى الآن لم يتغير من حالى شىء ، كل ما تغير انى بعد أن كنت أجلس فى غرفتى أطالع الكتب على الهاتف او على الجهاز اللوحى ، وأقرأ ما شئت وقتما شئت ، أصبحت الآن أجلس فى غرفتى أبحث فى الكتب الورقية التى لم أقرأها لأتصفحها ، دون النظر إلى حاجتى لقرائتها الآن أم لا ، ولكنها هى المتاحة ولا شىء غيرها ، وهذه كانت أول مقارنة حصلت عليها.

ولكن أيضاً هناك سلوكيات أصبحت ملازمة لى أيضا خلال مكوثى هذا ، أصبحت أقرأ على ضوء الشمس بدل المصباح ، أصبحت افتح النافذة بمجرد الاستيقاظ ولم أعد اعتمد على الكهرباء كثيراً ، أصبحت أنام باكراً واستيقظت فجراً ، وتبدأ حياتى مع هذا الاستيقاظ الباكر مقارنة بالقرية الكبيرة

ولكن أتعلم ؟!، ربما أكثر شىء ملحوظ هو ازدياد الوقت الذي اقضيه مع عائلتى ، فلأول مرة فى حياتى كلها أن أقوم أنا بتحضير طعام الإفطار ، فخلال أربع وعشرين سنة لم أتذكر يوما أنى وقفت فى المطبخ وحدى منجزا عملا ما ، حتى أثناء سفرى كان أقصى شىء يمكن أن أفعله هو غسيل الأوانى ، أما الآن ، ها أنا أقف فى المطبخ ما يقارب الساعة لأعد هذا الإفطار ، لم أتخيل ذلك يوما ما ، ربما كانت تفرضه الحياة بعد الزواج لظروف ما ، أما أن أكون ولدا وحيداً بين ثلاث من الأخوات وأقوم أنا بذلك أثناء انشغالهم بأعمال أخرى ، أتصدقنى لو قلت لولا البعد عن مستحدثات العصر ما فعلت هذا ؟! .

فى وجود مستحدثات العصر انت فى دوامة من النفع العام والخاص - هذا بفرض أنك تستغلها أمثل استغلال - تتنقل بين الأبواب المختلفة ، كلما شعرت بالملل من باب شيق ولجت باباً آخر أكثر تشويقاً منه ، كنت اتنقل بين مطالعة الكتب لأفضل الكتاب عربيهم وأعجمهم ، حاضرهم وغائبهم ، المتاح منها والممنوع من الطرح فى الأسواق ، ثم إذا مللت المطالعة بدأت فى سماع المحاضرات لأفضل المحاضرين على الإطلاق فى شتى المجالات - من يستحقون قطع الفيافى للوصول إليهم - دون الشعور بعناء ، علوم شرعية ، هندسة ، سياسة ، اقتصاد ، حتى علم النفس والاجتماع ، ثم إذا مللت انتقلت إلى محادثة أقرانك تدلهم على النافع ويرشدوك للمفيد ، وتطلب نصح من بعدت عنهم المسافات وطالت الأسفار لبلوغهم ، ثم إذا مللت من كل هذا حاولت الاستمتاع بما هو مباح فى تلك المنصات وغيرها من فديوهات ساخرة وغيرها .

كل هذا على جهاز بحجم كف اليد او حتى جهاز محمول يسهل به التنقل فى شتى الأماكن ، إننا حقا فى نعمة سنحاسب عنها والله ، أمامك مكتبات العالم كلها فلما لا تطالع ؟! ، وأمامك شيوخ وعلماء الأرض جميعهم فلما لا تسمع ؟! ،ومتاح لك الوقت فلما لا تتعلم ؟! ،سنسأل ورب الكعبة " ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم " ، فأى نعيم أكثر من هذا الذى نحن فيه حيث يمكنك بضغطة زر أن تبلغ ما بلغه الأولون فى سنوات وشهور

إن التكليف بقدر ما أعطيت من ملكات ، وانت الآن إن لم تمتلك ذاكرة قوية فأنت امتلكت الإنترنت حيث به ما تحفظ عقول البشر مجتمعين ، فلما لا تتدبر وتفقه وتعى ؟! ، أخبرنى بالله عليك ، إننا

اليوم على كاهلنا أعمال - تجاه أمتنا - تئن لها الجبال الرواسى ، فبالله عليك قم وتحرك .

على كل حال لنعود لأصل الحديث ، فلولا بعدى عن تلك المستحدثات لم أكن لأقنع نفسى أن أضيع ساعة - يمكن الاستفادة منها - فى طهو واكل وشرب ، لا تتخيل أنى مثالى استغل كل دقيقة وثانية ، ولكن لم أكن لأشغل بالى بما يمكن أن يفعله غيرى ، إنها مهارة تسمى التفويض ، ولكن نظرة الأهل فى تعجب لك وأنت واقف فى المطبخ تعمل عملهم وتساعدهم فى شأنهم كافية لأن تنسيك لذة التحصيل ومرارة الفقد ، تشعرك أنك داخل كيان أسرى مثلك مثلهم ،خاصة لو استحضرت أنك فى عمل أهل بيتك كما كان النبى .

ولكن رغم كل هذا تشعر أنك عادى ، لا راحلة بين الإبل المئة ، يحمل عليها صاحبها المتاع فى الحل والترحال بينما أقرانها يرعون فى المراعى وكل وظيفتهم إدرار اللبن ، ولكن على قدر تعب الراحلة على قدر ما ترى من بلدان وتستمتع بالترحال ويزداد قيمتها عند صاحبها ويعز فراقها.

ثم إن البعد عن المستحدثات يضيع أهمية الوقت كثوانى ودقائق وساعات ، إنما يصبح معيار الوقت هو الفروض الخمسة لا غيرها ، فلم يعد شعور مرور الوقت يلازمنى فى كل دقيقة وساعة إنما فى كل فرض ، فطالما أديت الفرض وقرأت الورد وقلت الأذكار وشاركت

الأهل فكأنما حيزت ليَّ الدنيا بحذافيرها ، لم يعد يشغلنى لا قضايا مشتعلة على الساحة ولا حتى ما يخص الأصدقاء .

وإن أهم ما يميز ذلك البعد هو البعد عن مثيرات الشهوة، فإن تلك المستحدثات مهما أحسنت استخدامها إلا أنه ولابد ستفرض عليك أنواعا من المثيرات تشيب لها الشعور ، فالآن فقط علمت لماذا أجر الواحد منا كخمسين من الصحابة .

ولكن أتعلم ؟! ، أصبحت هذه المستحدثات لأغلبنا الصاحب والرفيق ، فها أنا عائد من قرية مجاورة ، ولأول مرة أشعر بالوحشة فى الطريق ، لم أشعر بطوله كمثل هذه الليلة ، كان دوماً الهاتف رفيقاً لى ، ولكن هذه المرة كان الرفيق الأوحد هو شوشرة الأفكار والنظر للسماء .

ماذا بعد

ها هى الأيام تمر والساعات تمضى ، فها قد مضى أكثر من مئة ساعة على هذا الاعتزال ، أشعر أنهم مئة عام من العزلة ، أو ربما العودة بالزمن للوراء ، أظن ليس من المنطقى أن تهرب من الواقع ظاناً بذلك أنك زاهد عابد ، حقاً كانت تجربة ممتعة ، خلصت بها إلى بعض الأشياء ، ولا أدرى هل هذا صواب أم لا ، وأسأل الله التوفيق.

أولاً : لكل زمان تحدياته ، ولم يكن فارق العتاد والعدة يوماً فى حسابات المؤمنين ، إنما كان بذل المستطاع حيث قال تعالى : **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾**،

الآية ٦٠ سورة الأنفال .

فقط ما عليك سوى بذل المستطاع وما فى يدك ، فإن كان النصر من حظك فقد فزت فى الدنيا والآخرة ، وإن لم يكن التوفيق من نصيبك فأجرك على الله ولا يظلم ربك أحدا ، لذلك يا أخى لا تشغل بالك بما للعدو من عتاد وعدة أو قوة وسلطان ، إنما تشغل نفسك بالاعداد فإن استعملك الله فهو والله خير إستعمال ، وإلا فقد أديت ما عليك ، ولتتيقن أن نصر الله آتى ، سواء بك أو بغيرك ، فلا تركن للذين ظلموا ، وارغب إلى ربك فى كل وقت وحين .

ثانياً : لكل زمان أدواته ، وفارق تأثير الأداة لم يكن معطلا عن العمل يوما ما ، ولتتذكر يا اخى أن الجزاء على قدر العناء ، فطالما أنك لا تشق على نفسك عمدا ، إنما الأدوات المتاحة والظروف المحيطة وأقدار الله هى التى وضعتك هذا الموضع ، فاستعن بالله ولا تعجز ، ولتتيقن أن الله قادر على أن يبدل الأحوال بين غمضة عين وانتباهتها ، فلا تشغل نفسك بالنتائج ، إنما استغل المتاح وللتكنولوجيا أثر بالغ في عموم جيلنا اليوم سواء بالسلب أو الايجاب .

كأي شىء يدور فى فلك حياتنا تتمتع التكنولوجيا بحدين أحدهما ضار والآخر نافع ، لطالما أن أى شىء زاد عن حده انقلب إلى ضده ، كذلك التكنولوجيا وخاصة البرمجية منها ، حيث تقوم فى صناعتها بالأساس على إدمان مستخدمها لها وقضاء الساعات دون ملل يذكر أو حتى إحساس بمرور الوقت الذى هو اغلى ما يملك ، أظن هذه هى النقطة الأهم فى جعل التكنولوجيا ضارة للحياة الإنسانية ، فرغم أنها جعلت العالم كقرية صغيرة إلا أنها أعلت من شعور الفردانية واستغناء الفرد عن باقى مجتمعه.

فرغم أنها أراحت الإنسان من عناء وكدر الحياة إلا أنها جعلته يشعر بقدرة عالية وقدر فوق ما يستحق ، مما جعله يشعر أنه ملك الكون ووصل به الحال أحياناً إلى الإستغناء عن الخالق كما في بعض المجتمعات.

أما عن وضع القيود التى تحكمها وتحكم الإنسان فى نفسه أثناء التعامل معها لهو الغاية المنشودة والهدف المبتغى ولكن يحتاج ذلك إلى عزيمة وإصرار فى ظل تحديات هذا الزمان ، إلى جانب بصيرة ونور يضيئ ظلام جهل المنخدع فى بريق التكنولوجيا .

أظن فعلا أن أكثر سمة تميز عصرنا هو شعور الفردانية ، فأصبح واحدنا مستقلًا بكل ما تحمله الكلمة من احتمالات ، فيا ترى ما هي المغريات او البدائل التي اتاحتها التكنولوجيا عوضًا عن التشاركية الانسانية؟

أظن أن أكثر ما دفع الفرد منا للفردانية هو استغنائه بالتكنولوجيا عن المشاركة المجتمعية الحقة ، فأصبح يشارك حياته وأوقاته على مواقع مزيفة كوسائل التواصل الاجتماعي ، ثم قضى أوقات اللهو في تطبيقات اللعب الإلكترونية أو حتى الوسائل التكنولوجية المختلفة وترك معاملة الناس ، بل حتى أصبحت وسائل العلم لا تتطلب المشاركة المجتمعية فيكفيه جهاز لوحى وشبكة نت ، ثم أخيراً ها هو يصنع مواقف فرحه وحزنه عن طريق ردود الفعل على هذه المنصات.

وهذا ما لمسناه واضحا جليا في فترة اغلاقات العالم بسبب جائحة كورونا وخاصة أمر التعليم ، فهل نجح الأمر بالفعل في هذا الخصوص، أم انها مجرّد اصوات صدحت لترينا أن التعليم يستطيع الاستغناء عن الحضور الشخصي وأن التقنيات نجحت في ممارسته عن بُعد؟! .

علىَ أن أعترف أنه لا يمكن أن أحكم على التجربة ككل بالفشل أو النجاح ، ولكن يمكن ذكر بعض مناقبها وبعض مفاسدها ونترك لكم الحكم النهائي ، لا شك أن وسائل التواصل المختلفة والشبكة العنكبوتية أتاحت لكثير من طلبة العلم فرصة التعلم الحقة ، على سبيل المثال لا الحصر مجال كمجال دراستى ألا وهو الهندسة أتاحت له التكنولوجيا فرصاً عظيمة وامكانيات لطلابه لم تكن تتوفر للأجيال السابقة من سهولة فى الحصول على المعلومة ومن أفضل المحاضرين وفى أرقى الجامعات .

ولكن لنذكر بعض المساوئ أيضاً ، فشعور الطالب أن العلم متاح في كل وقت ويمكن الوصول له فى أى وقت دون بذل الجهد والعناء من سفر أو حتى حضور مباشر ؛ أدى ذلك إلى التراخى والفتور وضعف الهمة والتحصيل.

ولكن عند التحدّث عن التسهيلات من جهة الأضرار ، فهي من جهة أخرى نجد أن أغلبيتنا يميل لوضع "الراحة الزائدة" التي أمدّتنا بها التكنولوجيا، وفي نفس الوقت نضع التسريع في إتمام المهام بخانة التسهيلات، علينا حينها أن نسأل كيف لنا الموازنة بين هذه وتلك.

أظن أن الموازنة أمر صعب جداً فى كل هذه التحديات التى تحيط بنا من مشتتات وملهيات ، ولكن أظن أنها تحتاج لوضوح رؤية وهدف ، وغاية يسير إليها الفرد ، ثم همة وعزيمة تنبع من داخله ، وأخيراً إصرار على تحقيق ما يريد فى الوقت المناسب وبالكيفية التى

يتطلبها ذلك الأمر ، ولكن لنكن واقعين فهذا صعب تحقيقه فى ظل الهشاشة النفسية التى يتمتع بها أغلب جيلنا الآن .

ثالثاً : لكل إنسان هم ، والفارق بين الهموم يتحول لفرق فى الأجر ومراتب الجنان ، فمن همه الدنيا ليس كمن همه الآخره ، ومن يرضي بقليل الدنيا ليس كمن لا يرضى لا بقليل ولا كثير، ومن يرضي بقليل الآخرة ليس كمن بذل نفسه وماله لله طلبا للآخرة ، ليس من همه أكل وشرب ونكاح ، كمن يحمل هم أمة، وقضايا أبنائها ورفعة لوائها ، شتان شتان ، لذلك أولئك البشر من حولك من رضوا بقليل العيش مع بذل المستطاع هم أهنأ الناس وأروقهم بالا ، أما أنت يا صاحب هموم الأمة ، يا من لا ترضى بغير الفردوس غاية ، أتظن أنك ستعيش عيشة هنية إلا بالرضا بما قسمه الله لك ، فارضى بما أعطيت من ملكات وحاول استغلالها ، وارضى بما أعطاك الله من رزق وأنفق منه فى السر والعلانية .....الخ ، ارضى واعمل .

رابعاً : لكل إنسان قرناء ، والفارق بينهم فيما اعطوا من ملكات أو ما عندهم من الهبات ليس عذرا ولا دافعا للسخط والتخاذل ، فما فاتك لن يعود بسخطك ولا بندمك ولا بجلدك لذاتك ، فإن تفوق أحدهم عليك ، فهذا فضل الله عليهم ، ولابد أن الله فاض عليك بفضله وكرمه ولكن عينك التى لا ترى إلا ما عندها من نقص وما عند الآخرين من تميز هى السبب فى كل ما أنت فيه من عناء ، فارضى طالما أديت واستنفذت كل طاقتك وحتما

سيعوضك الله ثم استثمر أكثر فيما تبرع فيه ، لا ما يتميز فيه الآخرون .

خامساً : لكل زمان وقائع وأحداث ، ويجب أن تفرق بينهم ، بين ما يستحق أن يأخذ من وقتك وبين ما لا تعيره اهتمام ، بين ما تستطيع إحداث تغيير فيه وبين ما لن يصيبك منه إلا الضرر ، ثم لا بد أن تفقه وتميز بين متابعة الواقع والاستغراق فيه .

لذلك كله يا أخى. إنى ناصحك بعدم الانشغال بحياة الآخرين عن حياتك وبما وصل إليه غيرك ، وليكن شغلك الشاغل مرضاة ربك واستعمال كل أداة فيما ينفع وتحقيق أقصى منفعة فى كل الظروف ، ولا تشغل بالك بما هو قادم ، ثم لا تتشكك كثيرا ولا تحتار، صلِ استخارة ثم غامر ، ولا تنسي أنه يفوز باللذات كل مغامر.

فبمرور الأيام اكتشف أن النجاح ليس فى اجتياز الظالم ، ولكن فى رؤية النور بداخل كل ظلام ، أن ترى طريقا منيرا تسلكه مهما اشتد الظالم من حولك حتى ولو اظلم الكون كله ، ولم يعد فيه بصيص نور أو أمل ، رسمت انت طريقا تنيره بشعاع من نور وأمل ينبثق من داخلك ، شدته عقيدتك واتساعه نور بصيرتك وحوافه الصبر والتجلد .

النجاح أن ترى فى المحنة منحة ، وفى الجحيم نعيم ، أن تتأقلم مع كل ما يحيط بك ،وتستغله لصالحك ، أن تتيقن أن كل ما يمر بك هو تقدير الله ، وأنه الخير مهما كنت تراه فى ظاهره شر .

فاستعن بالله يا اخى ،واسلك طريق النور بحسن ظنك بربك ، وكن على يقين أن ما نحن فيه سيمر ، وسيصبح ذكرى مع الزمن ، وأن الحياة بمرها وحلوها لا تساوى شيئا فى ميزان الآخرة ، وأن الضغط النفسي والألم الذى يعصر صدورنا حزننا وكمدا سينتهى ويتلاشى ، وأن نظرتنا المحدودة وفهمنا القاصر لتدابير الله ما هى إلا من أنفسنا ومن الشيطان ، وأن تدبير الله خير لنا بلا شك ، وأن الانتظار المجهول نهايته والصبر على البلاء والابتلاء فى نهايتهما قمة العطاء بلا شك .

فنصيحتي لك يا اخى أن تكون على يقين أن لك يوماً ما ، اعلم أنك ستكون يوما ما شجرة كبيرة ، ويوما ما ستكون شجرة مثمرة ، كن على يقين أن سنن الله ماضية في كونه وخلقه ، ولكن ما يجب أن تشغل به نفسك أن تكون بذرة صالحة ، لتكون شجرة طيبة تؤتى ثمرها كل حين بإذن ربها ، أن تسعى لذلك وأن تتعلم سنن الله في كونه ، أن تتيقن أن هذا لن يحدث إلا بالجهد الكثير والعناء المرير والصبر الطويل أن تعلم أن ما تقدمه اليوم ستجنيه غدا ، فإن زرعت شوكا حصدت شوكا وإن زرعت شجرًا مثمرًا فلن تجنى إلا ثمرًا حلو المذاق.

هون عليك رفيق الدرب والخطوات

إن الحياة مليئة بكثير من الكربات

فابكى إن استطعت فالدمع يطفئ

ناراً أشعلتها الحياة بالضائقات

ثم ابشر بفرج بعد كل ضيق ، ويسر

بعد كل عسر لتعرف قيمة المتضادات

فاصبر أخى فى كل ضائقة تمر بها

واشكر حين يغرقك الله بالنعمات

ولك فى الليل سبح طويل كافٍ لأن

يزيل جبال الهموم و المنغصات

ولك فى كل ضائقة سلوى بأن الله

ينجيك منها مهما تعددت المرات

اعلم أننا جميعًا معشر الشباب لسنا في فترة إنتاج ، رغم أنى لا أنكره ، وأننا ما زلنا بذرة تحتاج لرعاية وكثير من الجهد والعناء .

فلا عجب أن تتلو فى كل صلاة (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) ، فإنك فى كل يوم حائر وبين شتى الطرق مشتت ، وبين عشرات الإختيارات تقف وقفة العاجز لا تدرى أي منهم يجب أن تختار ، وفى كل الأمور انت مجبول على العجلة فيها ، لا تعلم أين الخير وأين الشر ، بل أحياناً استعجالك للشر يكون أكثر من استعجال الخير حيث قال تعالى(**وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا**)، أنت مجبول على العجلة ، على استبطاء الرزق ، بل إن النبى قال **(يستجاب لأحدكم ما لم يعجل)** ، هذه طبيعتنا ونحن بشر ونعترف بضعفنا ونعلم أن فى هذا الصبر جهاداً عظيماً ، فلو لم يكن الصبر أمراً عظيماً يتطلب نفساً قوية ؛ ما كان سبباً فى جعل أيوب مثالاً يحتذى به في الصبر على البلاء .

ولكننا نطلب من الله الرحيم أن يهون علينا ، أن يعطينا فنشكر فإن نفوسنا ضعيفة ولا نعلم إن منعنا وابتلانا أنصبر ؟، أم سيكون الجزع نصيبنا ؟ تذكر جيداً قول الله تعالى (**مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**) ، إننا نحن وحدنا المسؤولون عن اختياراتنا فلن يحمل أحد من على كاهلنا شىء ، فكل سيحمل حمله ، فإن حملت خيراً فخيراً ، وإن حملت شراً فشراً ، أو كما يقال فى المثل (اللى بيشيل قربة مخرومة بتخر على رأسه) .

لذلك يا أخى إنى لك ناصح أمين ، فاحفظ عنى هذه الكلمات ، لا تغتر بعقلك واطلب من الله دائماً التوفيق والسداد ، لا تغفل أبداً عن صلاة الاستخارة ، وخذ بكل الأسباب المتاحة ، ولا تقولن لو أنى فعلت كذا وكذا ، وكن على يقين أن ما كان وما يكون وما سيكون هو بقدر الله ، وأن رب الخير لا يأتى إلا بالخير ، حتى ولو كان ظاهر الأمر الشر كل الشر ، ثم أخيراً (**اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ** و (**وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ**) .

لكن ما العمل حينما تثقل الحياة كاهلنا ، فأنا لم أعد أستطيع أن أتحمل أكثر من هذا ، أناجى الله بأنى تعبت يا الله ، ولكن لله حكمة فى ذلك ، هوانا وشهوتنا من جهة وفتن الدنيا ومصائبها من جهة أخرى ، تعبت من كل شيء ، حتى الدعاء أصبحت أشعر بفتور من كثرة تكرار أدعيتى ، أخاف من تقلب القلوب ، أخاف من الذلل والسقوط فأخسر دنياي وآخرتى .

ولكن يا فتى ، ألم تسمع قول الله (**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) ، لن أطيل عليك كثيراً ، فأنت لست فى حاجة للكلام أكثر من حاجتك لاستشعار الكلام وضبط مركزية الصبر فى نفسك ، أنت الان فى رمضان وهذا وحده درس عملي على الصبر ، الصبر على الطاعة وهو بلا شك اصعب من الصبر على المعصية ، يا فتى لا يهم الله جوعنا وعطشنا إنما يهمه التقوى منا ، أن نمتنع ونصبر دون اعتراض أو جزع ، أن نجتهد ونثابر دون النظر فى عواقب الأمور ، إن أمرنا فعلنا وإن نهانا انتهينا مهما بلغ فى ذلك من مشقة ، وحلها الصبر بالتأكيد ، وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

أما عن هواك وشهوتك وفتن الدنيا وابتلاءاتها فيكفيك قول الله

(فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالأِبْكَارِ)

صدقا يكفى صبرك واستغفارك لذنبك وتوبتك كلما سقطت ، نحن بشر يا بنى ولفرحة الله بالعبد التائب أشد من فرحة الأم بولدها ، هون على نفسك ولا تمل .

أما عن دعواتك فإياك أن تظن بربك السوء ، حاشاه الله ربنا أن يرد دعوتنا وألا يستجيب لعباده ، فهو القائل للشئ كن فيكون ، فلو أراد ربك لكل ما يشغل صدرك لأن يتحقق فى غمضة عين لفعل سبحانه وتعالى ، ولكنها حكمته وقدره ، فإياك أن تظن أن دعواتك هذه تذهب سدى ، {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ } أنت تحت رعاية الله وعنايته ولكنه يدبر لك ما يصلحك ويرفع عنك ما يضرك ، ونهاية أعيذك بالله من تقلب القلوب .

****

مع الحياة أم الحياة معنا

فالحياة عجيبة حقا ، كأنها تسير عكس رغبتنا ، أو أننا لا نعلم أين الصواب فنتخبط تارة معها وتارة نخالفها ، تارة نستعجل الخير ولكن الخير لم يأتى معاده بعد ، وتارة نحاول استبطاء الخير لعل هناك خير أفضل منه .

أحياناً تقف بدون أى رد فعل ، تتغير الحياة من حولك وتتقلب الأمور دون أن تتحرك ، تظل ساكناً لا تدرى ما الذى عليك فعله ، تمضى فى الأمر ثم تتراجع من منتصفه ، يظل التردد سيد الموقف حتى ينقضى الموقف وينتهى الأمر .

من العجيب ربما ما يحدث معى هذه الفترة ، أن تظل فى ترددك وحيرتك وضعفك وحزنك ، وتؤجل إتخاذ القرار وكل يوم تستخير وتدعى ، حتى ينتهى الأمر بمصيبة تؤجل الأمر أكثر من شهر على أقل تقدير ، كنت محتار بين تقديم أيام وتأخيرها ، فتأخر الأمر اضطراراً لشهور .

أتعلم ذاك الشعور الحادث حينما تنام على دعاء الله بأن يوقظك على خبر ترتج له جنبات قلبك فرحا ، فتستيقظ على أمر ظاهره شر وقطيعة وداخله يفرح قلبك ، ولكن لا تظل الحياة على حال واحد ، فلك الحمد يا إلهي على كل حال .

أحياناً يصيبنا نحن العباد دهشة من صنيع الله ، أقدار الله وطريقة ترتيبها والحكمة التى تتخللها تصيبك بالذهول ، تسعى يميناً وشمالاً وتذهب فى كل الاتجاهات ثم تجد الله يسوق لك الخير من حيث لا تدرى ، فى كل مرة تقف فيها تجده يرشدك ويدلك ، فى كل مرة تشعر بالغرق وفقدان الوعى تجده وحده سبحانه وتعالى ينتشلك من بحور التيه وظلمات التشتت ، وحده فاض علينا بنعمه وكرمه التى لا تحصى .

ولكن المحزن فى الأمر ، أن تلمس كل هذا وتشعر بلطف الله وكرمه عليك ، ثم تجد نفسك مقصراً فى حق الله ، رغم ما ضيعناه وما نضيعه فى حقه جل وعلا إلا أنه ألطف بنا من الأم بولدها ، كأنه يخبرنا أنك كما تعرفت علىَّ فى الرخاء سأعرفك أنا فى الشدة حتى ولو كنت مقصراً ، فما يصيبنا من هذا الموقف إلا الذهول ودمعات خفية تخرج فى صورة ضعف أمام الخالق الذى لا يترك عباده ويرشدهم سُبل السلام .

فكل يوم أزداد يقينا بأن بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال ، فى يوم واحد بل فى بضع ساعات يعود الأمل من جديد وتشرق الفرحة فى الأفق البعيد وتلوح ذكريات العناء من بعيد أن أبشر فالله لا يضيع أجر عامل من ذكر أو أنثى ، ولكن المشكلة أن المزيد من البذل والعناء يظهر فى الأفق ويقول لن تبلغ حتى تذوق الأمرين .

ولكن ما أسوء أن يصيبك التقصير فتتعلق بالأسباب وتخفت أو تقل علاقتك برب الأسباب ، أن تسعى للحل عند الأشخاص وتنسى طلب الحل من رب الأشخاص ، أن تسعى بل أقصد أن تتخبط بين كل شىء يخطر ببالك وتنسى أن التوفيق لا يكون إلا من الله ، وأن الأمر الذي تريد لن يكون إلا إذا قال الله كن فيكون ، ربما علمك بهذا يدفعك مثلاً لصلاة استخارة قبل النوم أو دعاء فى سجود ولكن تشعر أنك مفتقد لمعية الله وحفظه بل مفتقد لنور البصيرة التى كانت تنير دروبك المظلمة وتشق أمامك غيوم التيه وتقطع قيود الحيرة والتردد ، مفتقد كل هذا ، لا لشئ إلا لأنك مقصر فى حق ربك .

عجيبة حقاً هذه الحياة فى كل حالاتها ، سواء أخذنا منها منيتنا وحصلنا على مبتغانا أم لم نحصل ، سواء سارت كما نريد أم سرنا نحن كما تريد هى ، سواء حققنا أحلامنا وأهدافنا أم سرنا فيها بلا هدف ولا غاية ، هى شاقة فى كل الأحوال ، وأنت فى كبد في كل اللحظات .

أظن بعض الأحلام والأهداف يكون حلها فى التخلى عنها ، أو بمعنى آخر تركها لتقدير الله يفعل فيها ما يشاء وترك القلق والتوتر المصاحب للسعى لتحقيقها ، ألم تسمع قول الله تعالى **(فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)** ، ربما الناظر لهذه الآية يتعجب أشد العجب ، فالمنطقى أن يقول الله إذا خفتِ عليه أهربى به ، أو خبئيه أو أى شىء يدل على حرص الأم على ولدها وشدة تعلقها به ، أما أن يقول إذا خفتِ فالقيه فى اليم ، إذا اشتد الخوف وأصبح لا مفر ولا مناص وضاقت السبل بما رحبت حتى ظن الجميع أن الهلاك وحده ما سيصيبهم ؛ تخلى عن كل ما ترغب وكن صادقاً يصدقك الله ويرعاه لك .

ولكن ماذا بعد أن نتخلى أو نلقى أحلامنا فى أنهار الحياة الجارية ، هل سنرتاح ونهدأ ، كلا بل سيزداد الألم أضعافاً ولكن حلمك يرعاه الله لك ، ولكنك بشر ، والغيب عند الله ولا تعلم منه شىء ، فيتمكن الحزن منك حتى تكون على حالة ظللت أبحث عن شىء يصفها فلم أجد أبلغ من قول الله تعالى (**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا**) ، هذا هو حقاً الوضع ، تشعر حينها بالخواء الروحى ، تشعر أن قطعة من روحك مفقودة ، وتريد أن تضغط على صدرك حتى تختلف ضلوعك.

بل لا يتوقف الأمر عند هذه النقطة بل يتعدى لأن يصيبك اليأس ربما ، أو ضعف الروح ووهن الجسد ، أو ربما رغبتك الشديدة فى الإفصاح عن حلمك والحصول عليه مهما كانت الضريبة ومهما كان الثمن ، فلم أجد ابلغ من قول الله تعالى يصور ذلك حيث قال

(إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، فإن لم يربط الله على قلبك فإنك هالك لا محالة ، سيرسل لك الآيات ، ويبصرك بما عهد إليك ، ويجعلك ترى وعده الذى وعدك إياه ، فتتذكر عظم الجزاء فيهون عليك البلاء ، ترى جمال النهايات فتهون عليك مشقة البدايات ، تجده يخبرك بأن لا تحزن ، فحلمك سيتحقق ، وما تركته لله سيعود لك محملاً بالخيرات **(وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)** .

فحلمك سيتحقق ، ولكن رغم تخليك عنه لا تتركه ، اسعى إليه وراقبه وابذل فيه استطاعتك وحاول اقتناص الفرص لبلوغه ، ألم تر ذلك فى قول الله تعالى **(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)** ، ألقته فى اليم ولكنها أخذت بكل الأسباب الممكنة ، فهى لا تعلم ماذا سيحدث ولا كيف ولا متى ولكنها تفعل ما فى وسعها ، ورب الأسباب يدبر لنا دون أن نعلم ، ويسوق الأمور لتقربنا من أحلامنا حتى ولو كان فى الأمر ظاهره شر ، وذلك فى قوله تعالى **(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ)** ، فأى شر أكثر من أن يجوع طفل رضيع ، ولكن كان فى هذا الشر كل الخير حيث اللقاء إن قدر الله ذلك .

فالحياة تمضى سواء شئنا أم أبينا ، سواء توقفنا أم لم نتوقف ، تظل فى حالها كما هى شروق شمس وغروبها آخر النهار ، موت أشخاص وولادة آخرين ، تمضى بتقلباتها بين فرح وحزن ، بين سعادة وكآبة ، بين يسر وعسر ، بين رحابة وضيق ، تمضى غير آبهة بأى أحد على وجه هذه البسيطة.

ولكن ما جزاء كل هذا العناء ، ما العائد من أن يصاب الواحد منا بألم الاشتياق ، وحزن الفراق ، والرغبة فى البقاء بجوار أحلامه والالتقاء بها ، ما العائد من وراء التخلى ثم الصبر ثم التجلد ثم الإحتمال فوق طاقتنا ، على كل حال أظن الجزاء فى قول الله تعالى

(فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

إننا وإن كنا نعلم أن هذه الدنيا دار فناء ، وأن الآخرة هى دار البقاء ، إلا أننا نتعامل مع الدنيا كأنها دائمة ، وأنا ابتلائاتها لن تنقطع أبدا ، وأن الجزاء إما فيها أو لن يكون ، فما يكون من كل هذا إلا أن تصيبنا نظرة سوداوية لها ، ويختل عندنا مقياس الحق والباطل ، العدل والظلم ، حتى النور والظلام أصبحنا نجعلهما ألواناً كثيرة لا أبيض وأسود ، فغامت الرؤية وأصبحت ضبابية ولم نعد نميز بين الغث والسمين .

لا تحسبن العمر يمضي هكذا

فلتضحكن يوماً على أيام العنا

ولتكتبن أن الخلود قد أنسانا مر

الحياة وها هو الزمان قد حلا

يجب أن نعلم بل نتيقن أننا فى هذه الدنيا لنفعل كل ما يقربنا إلى الله خطوة ، وما يبعدنا عن النار خطوة بل خطوات ، إننا فى هذه الحياة كمسافر استظل تحت شجرة ، فإن لم يتزود فى وقته هذا بما يتم سفره ويوصله مقصده ويبلغه غايته ؛ فإنه هالك لا محالة ، فإما نجاة وإما هلاك ، لا خيار ثالث ، فهى إما جنة وإما نار ، إما نعيم دائم أو عذاب مقيم.

فاصنع يا أخى ما شئت ، فإنك مردود إلى خالقٍ عظيم لم يعى بخلق سماوات وأراضين ، وحينها حساب وصراط .

تمضى الحياة بنا دون أن ندرك معنى الوجود ، معنى أن تظل تقاتل فى حياة لست راغباً فيها بالأساس ، وتحاول الرضا بأشياء انت لا تعلم عنها أى شىء ، تقاتل اللاشئ من أجل اللاشئ.

غياب الوجهه والغاية وضياع الطريق أسوء ما يمكن أن يمر به إنسان ، فمعهم يفقد الواحد منا الدافع والرغبة فى مواصلة الطريق ، معهم ينعدم الشغف والتطلع إلى الغد ، معهم يصبح الواحد منا جسداً بلا روح وأياماً تعد بدون أى معنى للحياة ، معهم تصبح الخطوة كألف ميل ، ويصبح الحلو مراً علقماً .

تُرى كيف تكون الجنة ؟! ، أظن أعظم ما فيها بعد رؤية الله هو أن كل مُشتَهى مُنال ، وكل ما يتمناه المرء يدركه ، وأن لا سقف للأمنيات ولا رغبة فى المزيد دون الحصول عليه ، ولا إنتظار يؤرق لياليا ، ولا تشتت ولا حيرة تجعلنا نشعر بالتيه والخوف والترقب ، هذا وكفى.

إن الحياة فى مضمونها قاسية ، ولكن من أهم ما يميزها أن صاحب العلم يشقى بعلمه هذا ؛ لأنه رأى الكون من حوله وعلم ما ينبغى عليه تجاه نفسه وأهله وأمته ، أما الجاهل بحاله والهدف من خلقه - قبل أن يكون جاهلاً بعلم الكون والحياة - يتنعم فى هذه الحياة حتى وإن كان ظاهره الشقاء ، تراه لا يسعى وإن سعى رضى بالسعى القليل الذى لا يبلغ اى شىء وبأحلام أقل ما يقال عنها أنها ساذجة ، ولكنه بكل حال راض بها ويراها أقصى ما يمكن أن يصل إليه المرء.

لا أدرى حقيقة ، هل علىَّ البكاء على حالنا ، أم أن الاستماتة فى البذل هى السبيل الوحيد للخروج من هذا الوضع المخزى ، تخيل أنك بعد صلاة الفجر تناقش أحد أساتذة الجامعة فى أمر فقهى ، حل إشكاليته فى أن أمر التشريع مصدره الله ورسوله ، فبينما نحن على ذلك إذ به يقول أن الدولة قالت كذا ووزارة الأوقاف قالت كذا وعلى التلفاز أيضاً أحوالهم كذا ، فكانت حجتى أنه حين قال فرعون - متمثلاً فى الدولة - أنا ربكم الأعلى ، أعلينا إتباعه ؟! ، وقول الله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وبدأت فى التفصيل والتأصيل ، وإذ به يرد - متمسكاً برأيه - قائلا نحتكم إذا لإمام المسجد ونرى ماذا أرسلت إليه الأوقاف.

ذهبنا للإمام وما أن شرعنا بالحديث إلا وأخبرنا بما قالته الأوقاف، ثم استطردت أنا الحديث قائلاً ولكن النبى قال ، فإذ به يقاطعنى فجأة كثعلب انقض على فريسته ،قائلاً (واحنا مالنا بالنبى سيبك من النبى دلوقتى) ، فما كان منى سوى أن تركته منهياً الجدال ، مطلقاً عليه لفظ أستاذ لا شيخ ، مستهزئاً قائلاً نحن فى كنيسة لا مسجد ، مضمراً صوتاً على وشك الخروج من أعلى خيشومى ، لو خرج لكان هز أركان المسجد من شدته.

يحزننى حقاً أن أرى إمام المسجد وأستاذ الجامعة على هذا الحال ، فيا ترى كيف حال العوام وأهل الفسق والفجور ، أن يكون المتصدرين لهاذين المقامين بهذه العقلية وبهذه الضحالة الفكرية وبهذا الجهل الشرعى ، ولكن كل ما فى يدى الآن أن أدعو الله أن يمكن لدينه فى أرضه ويفرج كرب إخواننا المستضعفين في شتى بقاع الأرض .

أتظن يا أخى أن ما نحن فيه من ذل وخنوع هو نتاج يوم وليلة ؟! ، أو أن النصر والتمكين لدين الله سيكون بين يوم وليلة ؟! ، سواء حدث هذا أو ذاك فهناك دم سيسفك وأرواح ستزهق وأعمار ستضيع ، فإما أن تظل متخاذلاً ثم يسفك دمك وأنت فى موضع المدافع عن عرضه وأهله وماله ، أو أن تقدم وعزة الإسلام تملأ قلبك ، حينها إما أن يكون نصر أو شهادة فى سبيل رفع راية الدين عالية ، وأبشر حينها بخير استعمال .

****

فى كل مرة كنت أسير فيها على هذا الطريق كان كل ما يشغلنى ويجذب انتباهى تلك البنايات التى على جانبيه والأسوار الممتدة على حوافه ، ولكن لأول مرة أنتبه للطريق ذاته ، وأستغرق طوال الرحلة فى التأمل فى عراقيل هذا الطريق وحفره والمعوقات التي فيه وحساب العلامات المرسومة عليه وعلاقة عددها بمناطق الازدحام ، ثم أخيراً أستيقظ من كل هذا على مصدات خرسانية تغلق الطريق تماما وأحياناً تترك فرجة يسيرة لتتسابق السيارات المزدحمة فى المرور منها .

أظن هذا الطريق هو الحياة ، ولأول مرة أنظر للواقع على محمل الجد دون النظر إلى الأحلام الوردية ، رغم أنى كنت متوقعاً سوء الواقع لكنى لم أتوقعه بهذه الدرجة من السوء ، ولكن من الجيد أننا بدأنا نتدارك ذلك ونقدر حجم العناء الذى يتخلل طريق حياتنا .

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

هكذا الإنسان دائما ، لابد أن يجد لنفسه حظاً فى دنياه ، فإن الله بشر بالجنة والنعيم ، ولكن يبقى للنفس جزء تتنعم به وتحيا به ويظل محباً إليها على مر الأزمان والعصور ، فالله خالقنا ومدبر أمرنا علم هذه الاحتياج من أنفسنا فبشر به وعلم أنه محبب إلينا فأخبرنا بذلك كى لا يكون فى صدرونا حرج أو نتهم أنفسنا بالنفاق ، ولكن فى أغلب آيات الجزاء سواء كان الدنيوى أو الأخروى تجدها متبوعة ببشر ، فإما أن تبشر الصابرين أو المؤمنين أو المتقين وهكذا ، أى أن لبلوغ ذلك الأجر لابد من بلوغ مكانة معينة لا يبلغها إلا من بذل وضحى .

فهناك لحظات فى العمر تكون سِمتها الأولى هى تشتت الفكر وخواء الروح ، أن يتملكك التقلب بل إن شئت قل الاضطراب ، فجأة من دون أى مقدمات ومن غير أى سابق إنذار تجد نفسك محتاج للانعزال أو للبكاء دون أى سبب مقنع ، حجتك الوحيدة أنك تعبت ولم تعد قادراً على الإكمال ، رغم أنه لم يحدث أى شئ يدعو لذلك ، ولكن أظن أن فراغ الروح هو العامل الرئيسي فى كل ذلك .

فلنا فى هذا الليل حكايات لا يعلمها إلا الله ، أحياناً تنتهى بمناجاة لله وركعات فى جوف الليل ، وأحياناً أخرى لا تنتهى إلا بالبكاء لعل الله ينظر إلينا فيجد حالنا هذا فيمن علينا بفضله وكرمه ، إننا حيارى متعبون ولولا الله ورأفته بعباده لكان الهلاك سبيلنا ، ولكن الله سَلَّمْ .

أصبحت الأيام تمر علينا كعادتها غير أننا نتقلب فيها بين أحوال شتى ، كنت سابقاً أفخر بنفسى أنى قادر على الفصل بين كل شىء فى حياتى ربما اعتصر ألماً وابتسم ، ربما الضغط يقتلنى ومع ذلك أسير بوجه مرح بل وأزداد فى الإنجاز كأن لا شىء بى ....الخ ، كنت يمكن أن اتقلب فى الساعة الواحدة بين عشرات الانفعالات دون أن يؤثر ذلك علىَّ ، ولكن الآن يؤسفنى أن أعترف أن هذا لم يكن منطقياً ، أيعقل أن تجمع بين حزن وسعادة فى نفس الوقت ، فللأسف أصبحت الآن منساقاً وراء انفعالات لا تجر لى أى نفع ، أصبحت كلمة واحدة قادرة على تغير مزاجى وانفعالاتى وتضيع اليوم بأسره علىَّ بلا فائدة تذكر ، يحزننى أن أخبرك بأن الأيام باتت تقتلنى من كثرة ما يؤثر فيَّ من كلمات ونظرات ومواقف ، لم أكن بهذا الضعف يوماً ولم أكن ماهراً فى تضيع عمرى فى اللاشئ كهذه الأيام .

على كل حال أظن أنه يجب أن أردد كثيرا لا أدرى ، هذه هى الكلمة الوحيدة التي اظن أنها لن تفارقنى ، فمهما بلغنا من ذكاء ورجاحة عقل وقدرة على التفكير والتدبير ، إلا أننا أمام الغيب أكثر جهلاً من الطفل الرضيع ، فتدابير الله وحساباته غير حساباتنا إطلاقاً ، وتدبيره لشؤون عباده غير ما نتوقعه ، فهو وحده القادر على تحويل كل شئ إلى نقيضه فى غمضة عين ، فلا انت تعلم ما الذى ستكسبه غداً ، هذا غير أنك لا تعلم هل ما زال لك نفس غير الذى تنفسته أم أنا شهيقك لن يكتب له الخروج ، ولكن لا شئ يطمئننا ويهدئ من روعنا إلا يقيننا بأن الله لا يكتب لنا إلا الخير ، الخير وفقط حتى وإن خالف هوانا .

مشاعر كثيرة متداخلة ومضطربة ، أغلبها فرح لله الفضل والمنة ، أخاف تضيع لذة فرح الوصول بالتفكير فيما بعده ،اخاف أن يضيع كل ما وصلت له فى غمضة عين ، ولكن حسن الظن بالله واليقين أنه لا يكتب لنا إلا الخير هما فقط ما يهون علينا مصائب الحياة وضيق الدنيا الذى نراه ، فلك الحمد يا الهى على نعمك التى لا تعد ولا تحصى ، ونسألك تمام نعمتك ونعوذ بك من تبدلها ونسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

وحدها نظرة الفرح التى كنت وما زلت أراها فى عيون والدى ووالدتى ؛ هى التى كانت تدفعنى لأكمل هذا الطريق الشاق ، أن تشعر أنك رأس مال والدك واستثماره الوحيد وفخر أمك بل العائلة بأسرها ، أحياناً كنت أشعر بالضغط النفسي والألم الداخلى فى أى لحظة تقصير لأنه وبكل بساطة لا يجب أن أخذلهم ولو لمرة .

ضعف بصرى من جراء المكوث أمام اللاب كثيراً والمذاكرة على هاتف محمول لا يتعدى حجمه كف اليد ، انحنى ظهرى نتيجة المكوث ساعات طوال بلا انقطاع على نفس الهيئة ، قد أصبت بأغلب الأمراض النفسية والاجتماعية بل والصحية بسبب الضغط المستمر وحالة العزلة والتوتر والتفكير الزائد عن حده ، ولكن فى النهاية ، يهون كل هذا بمجرد أن ترى الفرحة تلمع فى عيون أحبائك ، تشعر حينها أن الكون لا يسعهم من الفرحة ويريدون أن يصرخوا بأعلى صوتهم ويخبروا من فى الأرض والسموات أن هذا ابنى هذا حصاد تربيتى هذا نتاج صبرى .

فوالله وبالله وتالله لولا أهالينا ما بلغنا معشار ما نحن فيه ، لأن وبكل بساطة لا أحد يتمنى نجاحك بصدق وحريص على أن تكون خيراً منهم سوى هم ، مهما بلغ تقصيرهم تجاهك إلا أن برك بهم وبذلك استطاعتك وما فى يدك كافين جدا لبلوغ الأمانى وتحقيق المراد ، فإياك أن تنسى أن الله يكافئ على المستطاع لا المبذول .

مرت علىَّ أيام صعبة ولحظات مريرة بكى فيها أهلى كمداً وحزناً علىَّ ، ولكن اليوم ها أنا أسأل الله العفو والعافية وأن يجعلنا عوضاً لهم وأن لا يحرمنى منهم ولا يحرمهم منى وأن يجمعنا مع النبى على حوضه الشريف .

مرت هذه السنوات وقد تركت أثراً بالغ التأثير فى نفسى وفى أفكارى ومبادئى ، صداقات فتحت عينى على الدنيا بتنوعها واختلاف ما فيها ، تجارب فى كل واحدة منها أجدني أصبحت شخصاً آخر ، وصدمات إما زادتنا يقيناً أو جعلتنا نترك الطريق إلى غيره .

مرت تلك السنوات ولم يبقى فى الذاكرة من الدراسة شىء ، ولكن ما تبقى ما كنت تفعله بجوار الدراسة ، تبقى انشطتك التطوعية وأعمالك الدعوية ، فى كل مكان دخلته تركت أثراً فى النفوس على الأقل -لله الفضل والمنة - ، كنت حريصاً على ألا أفقد أى شخص خلال تلك الرحلة ، ما اجتمعت بفريق إلا ووضع الله القبول فى قلبى وقلوبهم ، كنت حريصاً فى كل لحظة افتراق على أن أترك أثرا طيباً لعل الأيام تجمعنا مرة أخرى ويبقى لهذه اللحظة أثراً فى النفوس .

ها قد انتهت الرحلة بكل أفراحها وأتراحها ، وأنهينا خمس سنوات من حياتنا ، ونسأل الله العلي العظيم أن يتم فضله وكرمه علينا ، وأن يستعملنا ولا يستبدلنا ، وأن يجمعنا بمن نحب وفيه الخير والصلاح ، وأن يكتب لنا الخير حيث كان ثم يرضينا به .

طوال هذه المدة وانا أتغير تغيراً مستمراً ، للأسف للأفضل فى أشياء وللأسوء فى أخرى ، أكاد أجزم أنى تغيرت كلية ، فشخصى الآن غير ذاك الشخص الذي كان من قبل خمس سنوات .

كلما نظرت لتلك الأحلام التي أحملها فى صدرى بعين الأمل ، ثم أنظر إليها بعين الواقع ، لا أجد من نفسى إلا صراع ، صراع يخلف وراءه فوضى عارمة لا تزول إلا بشق الأنفس ، تلك الفوضى فى عقلك وقلبك التى لا يزيلها إلا الاستكانة لأمر الله وحسن الظن برب كريم لم يخذل عبده قط .

أحلام شتى ، وأمنيات عظيمة بقدر عظمة الدافع لها ، اجعلهم جميعاً كأهداف وأشغل نفسى ليل نهار بتحقيقها ، ولكن يظل هناك هدف أسمى تقاتل من أجله ، ولكن أتعلم ، إنى لا أشغل نفسى بكلها او حتى جلها ، فقط فى كل بداية أنهك نفسى فى إختيار الصواب ومحاولة السير فى الطريق الأصوب ، ثم بعد ذلك أدخل فى تحدى مع هدف بعيد المدى والمنال ، صعب التحقيق في الحاضر ، لا لشئ إلا لأبذل اكثر فى الأهداف الأساسية دون الشعور بالملل أو استثقالها ، فتتحقق بفضل الله وكرمه مع مرور الأيام ، ويبقى التحدى قائماً ، صارفا فيه جل تفكيري ، إلا أن الصعوبة تكمن فى إجتماع كل تلك الأشياء على قلبك حتى يضيق بها ذرعاً.

ولكن أتعلم ؟! ، إن المهموم بالغد الناظر إلى الغيب بعينه لا بتقدير الله يكفيه للخروج من هذه الحالة أن يكون واضح الهدف والرؤية ، فبلا شك أن إدراك لماذا ، أهم بكثير من معرفة ماذا وكيف ، وفى ذلك تحقيق للمحال وبلوغ للآمال.

لذلك فى كل خطوة أخطوها يكون جل تركيزى على لماذا وماذا أما كيف أدعها لتقدير الله ، فقط أضع نفسى على الطريق وأعلم الوجهة جيداً ولا يهمنى الوسيلة لأنها وبلا شك ستتغير بتغير الأيام وتتبدل بتبدل الأزمان ، فاحرص على كتابة غايتك واجعلها واضحة وتعاهد قرائتها كل فترة كى ترفع الهمة وتحى العزيمة وتصحح المسار.

ولكن ما اكتشفته بعد هذه الرحلة ، أننا لا ننتمى للأماكن ، بل ننتمى للأشخاص الذين اعتدنا رؤيتهم وللأرواح التى ألفناها ولمنظومة القيم التى عشنا بداخلها ، فحينما سقط كل هذا لم اعد أشعر أنى أنتمى لهذا المكان مطلقاً ، كأنى لم اقضى به خمس سنوات هم الأهم في حياتى.

دخلت من نفس البوابة وسرت فى نفس الطرقات وجلست فى نفس الامكان ولكن لم أشعر أنى ما زلت طالبا فى هذه الكلية ، كل الأشكال امامى تغيرت فلا أحد يعرفنى ولا أعرف أحدا منهم ، ما زالت البراءة فى وجوههم ، لم يعد هناك مواقف تجمعنا فى هذا المكان ، أشعر الآن بالغربة لا الحنين

****

غاياتك أم نتائجك

ما بك يا فتى ، بالله عليك أخبرنى ما بك ، يحزننى أن أراك بهذه الحالة التى لا تسر أحداً ، وقوفك مكانك مع مرور الأيام يقلقنى عليك ، فلتبدأ فى أى شيء فليس عندك ما تخسره ، وكفاك تفكيراً زائداً وتضخيما للأمور وحسابات من أكثر من اتجاه ، كفى يا فتى ، هون على نفسك ، استعن بالله ، أنت كأقرانك ، عش قليلاً مع القطيع ، ودعك من التراهات والسفاهات التى لا تكل عن التلفظ بها .

أليس كل ما تسعى له غايتك من وراءه الجنة ؟! ، فلماذا تقف عنده إذا ؟! ، ابحث عن سبيل آخر واسلكه ليبلغك مرادك ، ولا تنسى قول الله لَنهدينهم سبلنا ، فلا يهم يا أيها الفتى إن كان هذا السبيل فى الهندسة أو التجارة أو حتى التدريس ، أنت حيث أقمت نفسك وسعيت لمرادك وصلت بإذن الله ، وطالما أن الغاية الجنة فلا تهم الدنيا فى شيء .

أعلم أن فى هذه الفترة من حياتك لابد من حساب تكلفة كل خطوة جيداً ، فالفوز عظيم والخسارة فادحة ، إن لكل خيار تكلفة ، تكلفة فى ذاته وتكلفة أخرى فى مقدار فقد الأشياء الأخرى للحصول عليه ، أظن هذا يسمى " تكلفة الفرصة البديلة " ، فحتى على مقياس الخيارات الصغيرة ، فعند اختيارك للترفيه عن نفسك ساعة من النهار أو الليل فحينها أمامك اختيارات جمة ، وعند اختيارك لأحد تلك الاختيارات فإنك تنازلت عن الأخرى ، وهكذا فى كل أمر من أمور الحياة ، سواء عظم هذا الأمر أو صغر .

يحزننى أن أزهد فى نتيجة عناء خمس سنوات ، لم أعد أعرف ماذا أريد ، أصبح أكثر ما يميزنى التيه ، تائه بين كل شىء فى حياتى ، لم أكن بهذه النظرة السوداوية من قبل ، كنت أبحث فى كل محنة عن المنحة التى بداخلها ، أما الآن أصبحت أبحث عن الحزن داخل كل فرح ، وعن البلاء داخل كل عطية ، يعطينى الله فرص جمة يحلم بها اى شخص ولكنى أنا المقصر أنا الفاشل فى اقتناص أى منها ، ربما لأنني لا أعلم ماذا أريد ، ولكن الواضح أمام عينى أنى لم أعد عندى الرغبة فى محاولة البذل أو العناء ولو لثانية واحدة ، يعطينى الله الفرصة تلو الأخرى ، والمنحة وراء سابقتها ويمهلنى أكثر فأكثر ، ولكنى أنا العبد القنوط الذى زال الشكر من قاموس مفرداته ولم يعد يرى من الألوان إلا الأسود ، وذهب كل شعور سوى الحزن وتحكمت فى تصرفاته الكئابة .

فهناك أيام تمر علينا كدهور ، منها ما وقعها فى الإنتظار ، ومنها ما فيها من الألم والحزن ما يساوى سنين ، ومنها ما فيها من كسرة النفس وهوان الروح ما يكفى لأن يوزع على العمر كله ، ومنها ومنها ومنها .....الخ .

الأسوء لا فى تلك الأيام إنما اجتماعها مرة واحدة أو متتالية ، فيمر عليك الأسبوع أو الشهر كأنه الدهر كله من لدن خلق آدم إلى قيام الساعة .

ما اكتشفته مؤخراً للأسف أن كل شقاء نمر به نحن السبب فيه ، نعم كله بما كسبت أيدينا نحن وباختيار عقولنا لا غيرها ، فالدنيا جميلة ولكن نحن من دخلنا هندسة واخترنا الشقاء بإرادتنا ، واختيار الزوجة سهل ولكن نحن من عقدنا الأمور ووضعنا مواصفات لا تمت للواقع بصلة ، والوظيفة سهلة ولكن نحن من نسعى لما هو أعظم ، ومرور الأيام هين ولكن نحن من اخترنا وقتنا ككنز وأعمالنا كأعمار .

وقس على هذا كل صغيرة وكبيرة في حياتنا ، فالدنيا لا تساوى جناح بعوضة ولكن نحن من نسعى لها ونتعلق بها كأننا تناسينا أننا فيها كمسافر استظل تحت ظل شجرة ثم رحل ، أو ربما نظرتنا لها كأنها دار عمل لا دار جزاء هى ما تدفعنا لكل هذا الكدر وكل تلك المنغصات .

فإنى الآن حزينٌ من نفسى على نفسى ، بلغ الحزن مبلغاً عظيماً كحزن المفارق للحياة المودع لنفسه وأهله التارك خلفه حياة النعيم المقبل على الجحيم ، تمر الأيام والحزن فى زيادة ، رغم أنى لا أعلم لذلك سبب ، فمنذ فترة وأصبحت الهشاشة النفسية سمة مميزة لى ، أعلم أن السبب الأوحد هو البعد عن الواحد الأوحد ، كل ما يحزننى أنى فى أكثر الفترات احتياجا لله وراغبا فى توفيقه وتيسيره وتدبير أمرى ، ومع ذلك لا اجد من نفسى إلا التقصير ، تقصير يؤلم نفسى لأنى لم أصله يوما ما قبل هذا ، أو لا أدرى لماذا أصبحت أشعر أن كل شىء سئ يحدث لى هذه الفترة كأنه المرة الأولى .

على كل حال ، هانت وبتهون وهتهون ، كلمات كثيراً ما نُصبر بها أنفسنا ، ولكن حينما نجلس مع أنفسنا جلسة تفكر وتدبر ، نجد أن ما هان لم يمر هكذا هباءً منثوراً ، إنما ترك فينا علامات وجروح غائرة لا يمحيها الزمان ولا تبدلها الأيام ، أتفق معك أن الأيام مرت بحلوها ومرها ، ولكنها تركت أثراً في النفوس ، أفكار تحورت ومبادئ تبدلت وصحبة تغيرت وإيمان زاد وأحياناً قل ، مواقف جمة ، محن وابتلائات ، وأيضا لنكون منصفين وأيام فرح لا تعد ، ولكن لنعود لأصل الحديث ونقول هانت وبتهون وهتهون .

ولكن تذكر دائما أنها لم تهن بسببك انت او بسبب اجتهادك أو بذْلك إنما كن على يقين أنها لم ولن تهون إلا بلطف الله الذى يغمرنا.

إننى فى حيرة من جديد ، تراودنى الآن فكرة الالتحاق بكلية الحقوق ، فما أعظم أن تجمع بين الهندسة والحقوق والاقتصاد وعلم النفس وقبل كل هذا العلوم الشرعية ، يجعل منك هذا كله شخصية فريدة تضع بصمة على التاريخ ولابد ، ولكن التشتت والتردد اللذان أصبحا أكثر ما يمز شخصيتي لم يأخذا قرارا نهائياً بعد ، فهناك عشرات البدائل وكلهم صواب ، ومن غير المنطقي الالتحاق بكلية الحقوق فى هذا العمر وخاصة أنى فى بداية حياة ستتطلب الكثير من الجهد والكثير والكثير من المال ، فهل سأستطيع فعلها ، لا أعلم ولكنى ذاهب غداً لأسأل عن التقديم وأسأل الله أن يجعل الخير طريقى .

فإن التعدد يصنع أديباً مفكراً ، ولكنه لا يصنع عالما ، فتجدنا نعلم شيئا عن كل شيء ولكن إذا غصت فى هذا الشئ ، ظهرت ضحالة فكرنا فيه وقلة خبرتنا ومعرفتنا به .

لذلك لا اعلم هل أن تكون أديباً واسع الفكر تبدى رأيك فى كل شىء ؛ شئ جميل ، ام أن تكون عالما بشئ واحد ولا تتحدث إلا فيه هو الأجمل .

ولكن على اى حال ،انى احاول ان أجمع بين الاثنين ، فاتعلم شيئاً عن كل شيء ، واتعلم كل شئ عن شئ ، ثم أحياناً اقتنع بقول معلم الناس الخير حين قال (معرفة مظان العلم نصف العلم ،فما الفرق بين طالب علم أو متخصص فى علم وبين جاهل؟ ، كلاهما لا يعلم ولكن الاول يعرف كيف يحصل على المعلومة ومن أين) .

لذلك أظن أن الجميع سيتجه فى كتابته نحو منحى واحد وهو إبراز أهمية القراءة وتحديد المنهجية السليمة التى يتبعها الفرد والجماعة للوصول إلى الهدف مما يُقرأ .

ولكن يجب أن نركز على جانب أهم وهو القارئ ذاته فليس الجميع أهلاً للقراءة وليس الجميع أهلاً للعمل بما يقرأون ، فكما قال النبى الناس كالإبل المئة لا تكاد تجد فيها راحلة ، فمن هذا المنطلق وجب التوضيح إلى أنه علينا التركيز على القارئ أكثر من تركيزنا إلى إتاحة العلم له ، نركز على بناء شخصية سوية إذا تعلمت عملت وإذا عملت تركت أثراً في نفوس العباد والبلاد .

إن أعظم ما يواجه الطاغية هو جيل قادر على النقد قادر على التفكير قادر على العمل ، فإذا اتيحت هذا الصفات فإن الشخص سيقرأ لا محالة ، ربما سيتخبط سنين حتى يجد ضالته ، يجد ما يروى عقله ويغذى روحه ولكنه فى النهاية سيصبح لبنة أساسية في بناء الحضارة وسيكون مسماراً فى نعش الاستبداد .

ومع كل هذا لا أحصى عدداً كم من المرات التى وددت فيها أن أكون جاهلاً ! ، أن أعيش كما يعيشون واشرب كما يشربون وفقط ! ، فكلما زاد الإدراك زاد التكليف ، وكلما زاد التكليف زاد العناء والمشقة ، ولكن شيئ واحد يصبرنى ، أن الجزاء على قدر العناء .

ربما كان أول من أثار هذه الفكرة فى أعماقى هو شيخنا إبراهيم السكران حين قال (بقدر فرحك بما وهبت من ملكات (ذكاء، حفظ، تحدث، كتابة) لتكن خشيتك من الحساب، فالتكليف بحسب الوسع (لا نكلف نفسا إلا وسعها) فكلما زاد الوسع زاد التكليف) .

ولكن غريب حقاً ، أن تجد فى كل هذا المحيط بك أناساً ما زال مصدر العلم والتلقى لديهم صفحات الفيسبوك وما شابهها ، بل ويبنون قناعاتهم وفكرهم منها ، فحقا تصيبنى الدهشة أحياناً كثيرة حينما أفتح مواقع التواصل الإجتماعي ، أتسائل كثيراً ، هل ما زال هناك أناس لا يرون أن الفيسبوك وما شابهه مواقع زيف لا تمت للواقع بصلة ؟! ، ما زلت أرى أناساً يتأثرون بكلمات الغير ويندفعون باندفاعاتهم ، بل ويظنون أن الكلمات تعبر حقاً عن حال صاحبها ، رغم أنهم يرون نفس الشخص فى ساعة واحدة يمكن أن تتقلب مشاعره ومزاجيته بين الفرح والحزن والسعاد والاكتئاب والألم والأمل واليأس والإحباط ، وللأسف تتقلب مشاعرهم هم الآخرون مع ما يرون .

لا أدرى متى يقتنعون أن هذه المواقع ما هى إلا وسيلة لتفريغ الضغوط ولا تعبر عن الواقع أبدا ، ربما تعبر عن ما يمر به الشخص، ولكن بالتأكيد سترى الكلمات تعبر بطريقة مبالغ فيها ، ربما تحكى ولو القليل عما يدور فى صدورنا ، ولكنها وبكل تأكيد لا تحكى الحقيقة كما هي ، فما بالك اذا بمن يتلقون العلم في الجامعات من أشباه هذه المنصات ومثيلاتها.

فمنذ التحقت بالكلية وأنا شعارى تعلم من أجل الفهم ، وإياك أن تتعلم من أجل الدرجات فقط ، فإنك إن فهمت ملكت المعرفة وحزت الدرجات ، أما عدا ذلك فأنت فاشل حتى وإن حصلت على الدرجات النهائية

ولعل هذا يكون شعارى فى المرحلة القادمة ، أن أعمل ما يلبى شغفى وطموحى ، وحينها سأجنى المال واحقق المكانة التي أريدها ، أما أن أعمل من أجل المال أو غيره من المغريات ، فلا أظن أنه خياراً مطروحاً بالنسبة لى ، أسأل الله الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد .

لذلك يا اخى لابد أن تعلم أن الحياة ليست ببريق الفرص ، فإن أساس النجاح هو أن تفعل ما يناسبك وتقتنص ما يدفعك فى طريق حلمك ، فهناك فرص ليست لك بالتأكيد ، رغم أن الآلاف غيرك يتمنونها ، ولكن إياك أن تستعجل رزقاً أو تستبطئ نتيجة ، فأنت ما عليك سوى السعى ، وبما أن ما فى أيدينا هو السعى فقط ، فاسعى فيما ستجد فيه نفسك ، لا ما في ما يراه الآخرون فرصة لا تعوض .

ففى كل تجربة نخوضها لابد أن يكون فيها عبرة وعظة ، ربما هذا العمر هو عمر التجريب فإن لم أخض كل التجارب التى تقابلنى الآن فمتى أخوضها ، لذلك كان من الممتع أن أخوض تجربة التدريس ، بل أظنها من أكثر التجارب متعة وتشويقا ، فطوال كل هذه السنوات الفائتة دائما كنت فى دور المتلقى اللهم إلا مرات قليلة تعد على أصابع اليد ، أما الآن أقف أنا دور الملقى ، كان من أكثر الدوافع لخوض هذه التجربة إحساس أنك صاحب رسالة وتوصل قيمة ، إحساس أن علمك الذى ستسأل عنه ماذا فعلت به ستجد إجابة لذلك السؤال بأنك بلغت ، تعلمت وعلمت .

ولكن أقسى جزء فى هذه التجربة هو الاصطدام بهذا الجيل الذى لا يسر عدوا ولا حبيب ، بكل أسف أتحدث عن هذا الجيل وأنا الألم يعصرنى من الداخل ، فجل الشباب لا يهمه سوى فلانة وفلان ، والباقى لا يهتم اللهم إلا قليل من فيهم الخير والصلاح .

ولكن أبرز نقطة توقفت عندها هى أن العيب حتى وإن كان على الطلاب أنفسهم إلا أن الجزء الأكبر على المربيين سواء كانوا مدرسين أو آباء ، انعدام التربية والتوجيه فى البيت ثم أضف تهاون المعلمين خلقوا بيئة غير صالحة للتربية والتعليم إطلاقاً ، بل من أقسى الكلمات التى سقطت على أذنى قول أحدهم (المدرس الفلانى اللى بقالوا عشرين سنة بيدرس مبيعملش كده) قال ذلك حين عاملتهم بشدة وحزم ، فالطلاب متهاونون والمعلمون أكثر تهاونا منهم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

بل لم اكتفى بكونى تركت الهندسة وعملت مدرسا ، بل أعطانى الله فوق ما استحق ، وأصبحت معيدا ، فلأول مرة ينقلب الدور ، أكون أنا المراقب لا الطالب ، أكون أنا الممتحِن لا الممتحَن ، أكون أنا السائل لا المسؤل ، أحياناً تأخذك نفسك إلى إحساس زائف بالانتفاخ والعظمة ، ولكن هيهات هيهات منذ متى وأنا أترك الزمام لنفسى ، فمنذ بضع شهور كنت فى موضعهم وكنت أعانى من نفس المادة التى أمتحنهم إياها ، كنت إحاول إمضاء هذه الفترة دون خسائر تذكر ، أشد عليهم تارة وابتسم تارة ، أذكرهم بقسوتى وبفرق السن الذى يجعل إهانتى لأحدهم عظيمة وتارة أهون عليهم وأرشدهم لكيفية تجميع الدرجات وبماذا يبدأون وكيف يحلون.

ولكن السادية التى عند بعض الممتحنين التى تجعلهم يستمتعون بتألم الطلاب وحزنهم ، ويمارسون ضغطاً ممنهجاً عليهم ، تسمع ضحكاتهم حين يشتكى الطلاب ، وترى الفرح مرسوماً على وجوههم حينما يصبح امتحاناتهم الصعبة أكثر ما يشتهرون به ، أحزن حقاً على هؤلاء وأخاف كل الخوف من أن أصبح مثلهم يوماً ما ، هذا إن أكملت أصلاً فى هذا المجال.

ولكن ما كنت أتمنى ان أقوله لكل طالب مجتهد هو أنه كلما تضيق الحياة بك ذرعاً ، وتزداد حدة الصراعات بداخلك ، وتصبح ضغوطات الدراسة جبالاً فوق أكتافك ، وتتحول الحياة إلى جحيم ، تذكر أن هناك رب كريم معين ، أكرمنا طول حياتنا وسيكرمنا فى القادم بإذن الله ، كيف لا وهو القائل أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بى ما يشاء ، ونحن لا نظن بربنا إلا الخير ، وعلى يقين أنه لن يخذلنا.

وبمناسبة السعى فلقد مر على ذاكرتى الان يوم لا ينسى ، كان اليوم يوما متعب من السير ، تنقلت فيه بين مدنٍ ثلاثة ، وبين مستويات ثلاثة من نفس المجال ، باحثاً عن فرصة ، راضٍ بأى واحدة منهم ، أهم شيء أن أفعل شيئاً أحبه ، حتى ولو لم يكن شغفى به .

لا أخفيكم سراً بدأ اليوم للأسف بأماكن كنت كارهاً لنفسى أثناء سيرى فيها ، منطقة ورش معدات ثقيلة ، كل ورشة يمتلكها الاسطى فلان ، ثم انتقلت إلى أرقى مستوى توكيلا لإحدى شركات المعدات الثقيلة ، قابلت مدير الموارد البشرية بعد أكثر من ساعة ونصف الساعة وأنا في انتظار ، ثم انتهى السير بشركة صيانة متوسطة فى مدينة أخرى ، ثم عدت خالى اليدين ، ولكن فرج الله آت .

بعد كل هذا العناء ، ناصحك نصيحة ، إن كنت قد سعيت وأديت ما عليك ، فلا تقلل من شأن نفسك ، ولا تهنها مع أشباه الناس ، لن تجد من يقدرك إلا فى مكان يعرف قدر نفسه ، فاختلاف ردود الناس دليل على اختلاف ثقافتهم ومستوى وعيهم وادراكهم ، فالاسطى فلان صاحب الورشة قال لى (مش بشغل مهندسين يا أستاذ) والآخر قال (أنا بتاع خراطة يا ابنى أما انت مهندس ميكانيكا شوف مكان تانى)،

أما المهندس المسؤول فى الشركة المتوسطة رد بعد عنجهية فى الحوار وفظاظة فى طريقة التعامل قائلاً (أنا قدامى شغل مهندس مبيعات لو لسه متاحة هكلمك) ، أما مدير الموارد البشرية فى الشركة الأرقى كان أسلوبه ارقى قليلاً حتى وإن لم يكن يرغب فى لقائي وحاول منعى من الدخول ثم بعد الدخول جعلنى أنتظر كثيراً ، ولكنه فى النهاية اتصل على المهندس المسؤول قائلا (عندى مهندس ميكانيكا حديث التخرج شايف إنه كويس والسى فى بتاعه محترم لو ممكن تعمله مقابلة عشان نشوف هنعمل ايه بعدين) ، ثم أعطاني رقمه وقال لى اتصل عليه غدا او بعد غد وحدد معاد مقابلة معه ، هكذا كانت الردود ، رغم أنى لم أحصل على أى وظيفة منهم ، ولكنى شعرت بكينونتى وبالجهد الذى بذلته بعد كلمات ذاك الشخص فى تلك الشركة الأرقى .

رغم أنى كنت أتمنى دائما إنهاء الدراسة ، إلا أنى وجدت أن الكلية تحمينا من قسوة الحياة وهمومها ،وتحمل من فوق أكتافنا هموماً لا حصر لها ، أشعر الآن أنى مفتقد لأيام الدراسة ، بل مشتاق لها ، فلقد كان أول يوم دراسى الأفضل فى العام كله ، صداقات جديدة تتكون فى هذا اليوم لا تمحوها الأيام ، ومواقف تطبع فى الذاكرة لا يجور عليها النسيان ، إن هذا اليوم من كل عام كان بمثابة ميلاد جديد ، أو كما يقولون ضخ دم جديد فى عروقي ، كان الحافز لأكمل العام كى يتكرر مرة أخرى ، يوم كان أقصى هم فيه امتحانات نصف الترم التى بعد عدة أسابيع ومحاضرة الثامنة والنصف.

أشعر حقاً بالضياع بعد إنهائى لمرحلة البكالوريوس ، طموحات كثيرة كنت أنوى البدء فيها لتكتمل الدراسة الجامعية ، ولكن أظن أن للواقع رأى آخر ، فشعور أنك حر لم يعد على كاهلك أى مهام دراسية جميل جداً ، والأجمل منه أنك لن تكون فى حاجة للشعور بالضغط ، ولكن على النقيض ، فشعور أنك عاطل ، وأن كل ما فات لم يكن ذا اثر ، إحساس صعب جداً ، ولكن يبقى الأمل فى وجه رب كريم ما خذل عبداً قط .

فأول يوم دراسى ، لو لم تخرج منه بأقل شىء خمسة أصدقاء جدد ، منهم اثنين على الأقل من الفرقة الإعدادية ، يصبح كعدمه ، أصدقاء بمعنى الكلمة ، تكن لهم عوناً فى دروب الكلية القاسية ، ومتاهات الحياة ، ويكونون هم عوناً لك لدخول الجنان وبابا من أبواب الخير وزيادة الحسنات .

لا أخفيكم سرا فقد كنت مرتاحاً جداً هذه الفترة الماضية ، ربما لاحظ ذلك كل من حولى ، فخلال الأيام الماضية لم أَصح ولم أخط كتابات ناقمة على ما أمر به فى حياتى ، كل هذا فقط لأنى أرحت نفسى من عناء التفكير.

كم جميل أن تعيش لا تشغل بالك بشئ ، أى تعيش كما يعيش أغلب من حولك ، ممن لا يقدرون ما أنت فيه من صراع ، الآن فقط عذرتهم ، فحياتهم تلك شبه المملة ، لا يشغلها سوى توافه الأمور ، فلا أمر عظيم يقلق مضاجعهم ، ولا حلم عظيم يشعل النار في قلوبهم ، ولا حتى قرارات مصيرة تحير عقولهم ، إنما السير مع القطيع فقط هو ما يحكمهم ، وربما يشغلون أنفسهم بتحقيق أحلام الآخرين ، فإن أخفقوا لم تغتم أنفسهم كثيراً ، فعلى كل حال ليست أحلامهم حتى وإن ظنوا هم ذلك .

ولكن لا أخفيكم حديثاً ، أظن أن نفسى قد ارتاحت لهذه الحياة وأصبحت شغوفة بأن تبقى على هذا الحال ، خاصة أنى فى الريف ، حيث الهدوء الزمانى والمكانى أكثر ما يميز الحياة هنا بعيدا عن صخب المدينة وتسارع الحياة ، ثم العامل الآخر وهو العلاقات الاجتماعية ، فجلسة فى ساعة عصارى - كما يقولون - بين الأهل و كوباً من الشاى ومداعبات لأطفال العائلة وأحاديث الأجداد ، كل هذا يغرس فى قلبك إحساس بالأمان ، فلا صراعات ولا مشتتات ذهن ولا أى شىء سوى روح التآلف والطمأنينة والسكينة ، بل يكفى فقط شعور أنك لست وحدك فى خضم الحياة إنما هناك من يحمل معك ويقف فى ظهرك ويساندك كلما تعثرت .

على كل حال هل لنا من الأمر شيء ؟! ، لا ورب الكعبة إن الأمر كله لله ، فهذه أرضه يورثها من يشاء من عباده ، وهذه سماءه ينزل منها الخير على من يشاء ، وهذا علمه الذى علمه الإنسان - وإن كنا لم نُؤتى من علم الله إلا قليلاً - يعلمه من أراد وإما أن يجعله حجة عليه أو له ، وهذا مال الله يرزق به من يشاء ويعطى من خزائنه كيفما شاء عطاء من لا يخشى الفقر ، وكل شىء بيد الله وحده سواءٌ كانت صحة عافية ولد مال علم حرية راحة نعيم ، كل ذلك لله ، فإن الأرض وما فيها لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين ، فاحرص على أن تكون من من لهم العاقبة ، أما دار الإختبار فاحرص على الزاد الذى يبلغك الآخرة وكفى .

فكم لله من لطف جلى ، فما بالك بالخفى ، أحياناً تحدث مواقف لكل منا بعدها بثوانٍ معدودة يصارح الواحد منا نفسه بالحتمية التى نجاه الله منها ، ربما تكون تلك الحتمية موت فيصبح فى خبر كان فى بضع ثوانى ، أو ربما مصيبة فى المال أو الأهل أو الولد فيظل متحسراً طوال العمر بسببها ، أو أو أو .... إلخ .

فما بالك بما خفاه الله عنا ، كم من المصائب نجانا الله منها لا أقول فى الشهر أو الأسبوع أو اليوم الواحد ، بل فى الدقيقة الواحدة ، ألم تسأل نفسك هذا السؤال ؟! ، كم من المصائب يمكن أن تحدث فى حياتك وتسمعها أذنك فى الدقيقة الواحدة ؟! ، هذا مع العلم أنها متوقعة الحدوث فعلاً لا درباً من الخيال ، ولكن الله ينجينا ويمهلنا أكثر فأكثر ، فإن شكرنا نعمه وأفضاله زاد ستره الجميل ولطفه الجميل علينا ، وإما إن كنا من القوم القانطين الكافرين لأنعم الله الواقفين عند الفقد ومتناسين ما أعطاهم الله من غير حول لهم ولا قوة ، فلن يكون لنا سوى العذاب المقيم فى الدارين ، نتعذب بنعمه علينا لأننا رأينا فيها النقص ، ونتعذب فى الآخرة لجحود كرم الله وفضله علينا.

فإن لم تكن توقفت مع نفسك في تعداد المصائب التى نجاك الله منها ، لابد أن تتوقف لتعدد أسباب الموت فى كل ثانية أنت تتنفس فيها ، ألاف ألاف الأسباب والقائمة لا تحصى ، تذكر أن صحتك شبابك ولا حتى عضلاتك المفتولة أو عقلك الراجح سينجونك من مفرق الجماعات وهادم اللذات ، فى لحظة واحدة بل أقل من لحظة ، إذا أراد الله فلا راد لأمره .

هناك لحظات فى عمر الواحد منا لا تفارق مخيلته مهما مرت الأيام ، والأمَر من ذلك ، أنه لا يتذكرها إلا وفاضت عيناه بالدمع ، يتسائل كيف مرت وكيف نجاه الله منها ؟! ، ثم يحمد الله حمداً كثيراً على نجاته تلك ، حتى وإن كانت نصف نجاة ، إلا أن عدم النجاة أمر مأساوى لا يتحمله إلا قليل ، والأمَر من ذلك كله ، أنك ما أن تتذكر لحظة واحدة فى موقف ما حتى تأتي اللحظات تباعاً ، تمر عليك كأنها بالأمس ، ترى وجوه المحيطين بك حينها ، ترى الخوف فى أعينهم والفزع تمكن من قلوبهم وسوء المصير تحكم من عقولهم ، ترى هذا ثم لا يهون عليك إلا لطف الله الذى ينجيك منها ومن كل كرب .

فاجلس مع نفسك يا صاح ، وعدد نعم الله عليك ، وإياك ثم إياك والقنوط فإنه أول الطريق إلى ما لا تحمد عقباه ، تذكر ألطاف الله بك ، وستوره المرخاة عليك ، وكرمه الذي غطاك ، تذكر أن لك رباً كريماً إن سألته أعطاك ولم تنقص من خزائنه شيء ، وإن أعرضت عنه ، فوالله لو ركضت ركض الوحوش فى البرية ما أعطاك من الدنيا إلا ما قسمه لك .

أعلم يا صاح أنك متذكر لأفضال الله عليك ومتيقن بكرمه الذى بلغ الحدود مع تقصيرك ، وأعلم أيضاً أنك لا تريد من هذه الدنيا الفانية شيء ، أعلم أن لك هماً ورسالة ، و تريد تحقيق ما يستطيع كاهلك تحمله ، تخاف من الخطوات الخطأ فالأمة ليست فى حالة يُسمح معها التجريب والخطأ ، ولا العمر به ما يكفى من السنوات لننفقها فى كل باب دون الوصول إلى شيء ، ولكن لا تنسى أن عليك السعى قدماً وأن النتائج لن تكون إلا فى يد الله لا بما بذلته ، ألم تعتبر من حياتك بعد وتعلم أن الله يكافئ على المستطاع لا المبذول ، ولكن أيضاً أعلم يا صاح أنك بين صراعات عدة ، بين فطرتك البشرية وبين واقع مرير ، وبين طموحاتك وامآلك وبين واقع أشد مرارة من العلقم ، فاللهم .

تعيب دنيا وناسا راغبين لها

وأنت أكثر رغبةٍ منهم فيها

فالموت يأتى حاصداً ومفرقاً

لكل كارهٍ لها ومحبٍ وراجيها

فكم حملنا من همومٍ هى فى

الأصل لن تبلغنا ولن نلاقيها

وسعينا فى دروب شتى

ونسينا الآخرة ومساعيها

فلا تأمل فى أيامٍ أنت

ناظرها ، عسى الموت يأتيها

نغفل كثيراً عن تعداد النعم التى نغرق فيها ، وتظل أعيننا لا ترى إلا المفقود ، حتى يأتى واعظ الموت أو المرض لتفكر من جديد في نعم الله التى تغمرك .

فإنه عز وجل إن منع عنك نعمة أعطاك آلاف النعم غيرها وإن لم يحقق لك أمنية فقد حقق لك ما لا يمكن عده من الأمنيات ، فهو وحده الذى منعه قمة العطاء ، حتى وإن منع عنك شيئا تظن فيه الخير ،فلأن فى تأخيره أو منعه الخير كله ، فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

فدخول المقابر فى هذا الليل المظلم موحشٌ حقاً ، إحساس مختلط بين الخوف والرجاء ، ترى مآلك ثم تشعر بنفسك يتردد فتحمد الله أن ما زال أمامك فرصة ، إحساس الظلمة المحيطة والهدوء منقطع النظير و رائحة الخوف التى فى الأرجاء كل هذا يدفع لأن يعيد المرء حساباته ألف مرة قبل أن يكون من ساكنى هذا المكان ، تركت من حولى وتجولت ببصرى فى أحوال القبور ، ولكن ما تخيلته عيناي لا يمكن وصفه .

على كل حال يشغلنا الآن كيف سنضع هذه المرحومة فى التراب، نعم فهى والله لمرحومة لم تقضى فى حياتها سوى بضعة أيام تحت الأجهزة والرعاية فكأنها كرهت الحياة ومنغصاتها فرحمها الله من عناء الحياة وكدرها ولعله خير ، لعلها تكون سبباً في دخول آبائها الجنة إن هم صبروا واحتسبوا ، ولكن متى تحل علينا رحمة الله ، سؤال صعب حقاً فإن ماتت هى فهى مرحومة لأنها لم تقترف إثمًا ولا خطيئة بعد ولم تسمع سوى الآذان فى أذنها ولكن ما بالنا نحن كيف سيكون المآل بعد الممات ، بعد كل هذه الذنوب والمعاصي سواء في السر أو العلانية ، فإن رحمة الله بنا فى هذه الحالة لابد أن تكون مقرونة بعفوه وغفرانه وإلا فإننا بلا شك من الخاسرين الضالين ، فاللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار .

إن هذا القرآن لهو المفتاح لكل القلوب القاسى منها واللين ، فخذ منه واجعله موردك تروي منه عطش قلبك ، فعلى قدر ما تعطيه من وقتك وجدهك سيعطيك هو راحة فى القلب ونورا فى البصيرة .

كان لابد من وقفة لنفسى مع القرآن ، زاد الاحساس بالحاجة لتلك الوقفة بعد التخرج ، إحساس أنك تضع الأهداف تلو الأهداف وبفضل الله تحققها ، وتترك القرآن ممنياً نفسك بأنه هدف من أهداف العمر وسيأتي يوم ويتحقق ، استحقرت نفسى حين شعرت أنى حريص على كل شيء فى أوانه إلا القرآن أجعله هدف بعيد المنال ، لا أنكر أنى بذلت كثيراً من قبل لختمه ولكن وهم المثالية وحده هو ما كان يوقفنى كلما سلكت الطريق ، وبما أنى طرحت المثالية أرضاً فعلينا الختم ولنجعل تثبيت الحفظ هو هدف الحياة الأسمى .

عيب علينا حقاً بل عار علينا أن يمضى هذا العمر وتمضى كل هذه السنوات ونحن لم نختم القرآن حفظاً ، ألا تظن أن من العار أن تبذل كل غال ونفيس للحصول على شهادات أرضية لا وزن لها ولا قيمة فى ميزان الله يوم لا ينفع مال ولا بنون ، لا أنكر أن من تعلم من أجل الله ومن أجل سد ثغر من ثغور المسلمين ستزن تلك الشهادة فى ميزانه.

ولكن أليس من الحمق أن نضيع كل هذه السنوات دون أن نجد مكاناً للقرآن حفظاً ومراجعة ، أن نحفظ آلاف آلاف الصفحات ونأتى عند القرآن ونتحجج بضعف الحفظ ووهن الذاكرة ، أليس من العار أن تذاكر فى اليوم الواحد أكثر من أربعة عشر ساعة ولا تستطيع فعل ذلك مع القرآن ، كل شيء ممكن ولكن نحن من جعلنا الدنيا همنا ، فهانت علينا الآخرة واستصعبنا كل ما يقرب من الفوز في دار الجزاء.

بل الأكثر حمقا هو ضياع اللغة العربية من بيننا ، حتى أنى لا أتذكر اخر مرة سمعت فيها شخصا يتحدث الفصحى ، فإن اللغة جزء لا يتجزأ من تكون الشعوب ، فإن عزت اللغة عز المتحدث بها ، وإن أهينت وتركت أصبح المتحدث بها عالة على الشعوب ، يتسول موائد الأمم الأخرى ، يتعلم بلغتهم ويتفاخر على بنى جلدته ولسانه بتحدثه ببعض كلمات الغالب والمسيطر.

لذلك كان عز العرب من عز العربية وعز العربية من عز القرآن الذى أنزل بها ، فإن العربية لغة عزيزة فى مضمونها وجوهرها ، عظيمة فى قواعدها وتصويرها وايضاحها وقوة بيانها وجمال تعبيراتها ودقة وصفها وتنوع أساليبها ، يكفى قول الله (وهذا لسان عربى مبين).

فإن العربية رغم شرفها بالقرآن الذى أعطاها ميزة الاستمرارية إلى قيام الساعة ، إلا أنها تعتبر اللغة الوحيدة الحية بين اللغات والتى لم تندثر بمرور الأيام وتقلب الأزمان ، بل أضف إلى هذه الميزة قواعدها المسماة بالنحو الذى يعيطها القوة فى البيان والدقة فى التعبير بجانب الصرف الذى يجعلها أكثر اللغات ثراءً من حيث وفرة الكلمات وسهولة التكلم بها لسهولة قواعد تصرف واشتقاق كلماتها .

ولكن أتعلم من الإنجازات البسيطة في هذه الفترة إنى استطعت بفضل الله رغم ذاكرتى الضعيفة حفظ آل عمران فى اقل من ثلاثة أيام ، أعلم أن الأهم من الحفظ هو تثبيت الحفظ ، وهنا تكمن المشكلة ، أسأل الله أن يعيننا على حفظ كتابه عن ظهر قلب.

يا حامل الكتاب اقرأ ورتل القرآن

واسطر بالقلم ذكراً لدى الرحمـن

واشرف بما تحمل إنه التبيان

من عند رب الكون القادر المنـــان

بُعث به النبى محمد لكل إنسان

وبه لم تعد الدعوة محدودة بزمان

وللبشر فى شرق وغرب وكل مكان

فإقرأ ورتل به يكن مكانك فى الجِنـان

وبه يرتفع ويقوى ويزداد الإيمان

فإن له لحلاوةً و أثراً فى الجَنـــان

فيه قيل اتبعوا النبى محمد العدنان

من قال المؤمن للمؤمن كالبنيان

يعينون بعضهم البعض كالشجعان

واسعد بما تحفظ فإنك الكسبان

فحسناتك فى ازدياد إذا نطق به اللسان

فاحفظ عليك النعمة ولا تكن كسلان

وإياك ثم إياك لهو الحديث والألحان

فإن القلب لا يجتمع فيه الإثنان

إما جنة وكرم وريح وريحان

وقبلها رحمة وعفو وغفران

وإما نار وعدل وسرابيل من قطران

وقبلها حساب وصراط وميزان

فاختر ما يسرك يا حامل القرآن

لتسعد به يوم أن تلقى الرحمن

****

بين عقلك الراجح

والحاجة للسكن والمرشد

منذ متى وأنت على هذه الحالة ؟ ، أن يضيق صدرك بما يحوى ولا تجد من يسمعك ، أن تفقد المرشد والهادى لك فى متاهات الطريق، الوحدة شعور قاتل وأكثر فتكاً حينما تشعر بها رغم كل من حولك ، فيها تشعر بغربة الروح لا غربة المكان والجسد ، ففيها إن وجدت من يسمع فلن تجد من يصغى حتى تشعر أنك تتحدث مع نفسك ثم يحدثك كأنك أنت من تتكلم ، فيها هوان الروح فتفضل السكوت بدلاً من نقاشات لن تفيد ، فيها ضياع النفس حتى وإن وصلت أعلى المراتب وأرشد السبل.

فلا زالت الروح واهنة ، ما زالت تحتاج لمن يربت على كتفها ويشد من إزرها ويخبرها بكل جميل فيها ويحى الأمل الذي تقتله الحياة كل حين ، ما زالت الحياة قاسية والدنيا شديدة وقع أحداثها على نفوسنا ، ما زالت تزيد الألم أضعافاً مضاعفة فى قلوبنا كلما أرتنا من حقيقتها شيء ، ما زالت تنهش فى روحنا فتؤرق ليلنا وتقلق استقرارنا وتجعلنا نفر من أنفسنا دون أن ندرى إلى أين الوجهة .

أحتاج لمناصفة أحوالى مع أحدهم ، أو ربما تقدير لذاتى بأن يجعلنى أحد ما محور حياته ومدار الكون بالنسبة له ، إننا جميعاً بحاجة للسكن ، أن تكون علاقاتنا بالأشخاص أكثر من كونها علاقة صداقة أو صلة رحم ، نحتاج لعلاقة فريدة من نوعها تجعلك كلك ملك لشخص وهو ملك لك ، تتشاركان النفس قبل أن تتشاركا الأفكار والطموحات والآمال ، فكما أن البيت يتحول من مكان للإواء إلى مكان للسكن بطول المكوث فيه وبذل الجهد والمال لإبرازه فى أجمل صوره وإعطائه من وقتك وعمرك ، كذلك علاقتك بمن تحب ، على قدر إعطائك ستأخذ ، فإن أغدقت عليها بالعاطفة وبمعانى الرجولة والقوامة ، احتضنتك هى بفيض من الحنان والحب والتقدير .

إليكِ يا قمرى المنير ، أعلم أنى لم أكتب لكِ منذ فترة ، يعلم الله كم جاهدت نفسى فيها ، ولكن ما يدفعنى للكتابة إليكِ سوى أنى على

يقين أنى لا أعلم بعد من نصيب من هذه الكلمات ، أو ربما هذا القمر هو ما ذكرنى بكِ وبأشواقى ، فرغم أنى لا أنساكِ وأشواقى لا تنطفئ ، إلا أن هذا القمر وتلك النسمات الباردة التى جعلت فى جسدى رعشة بل انتفاضة ، أحيت معها بل أججت نارى الملتهبة التى أطويها فى فؤادى وبين أضلعى .

إليكِ يا قمرى ، إن مثلنا ك.....، أتعلمين ؟! ، لا أجد لنا شبيهاً فى هذا الكون الفسيح ، حقاً أحياناً أتعجب من حالنا ، لا أعلم أنحن على صواب أم أخذتنا تيارات الضلال فانحرفنا عن الصراط المستقيم ، أتعجب حين أشاهد نفسى وأنا أكتب مثل هذه الكلمات بل وأبثها للعامة ، وأتعجب من نفسى أكثر حين يأخذنى خيالى وعقلى التحليلى - الذى لا يكل ولا يمل من إيجاد تعليلات وتحليلات وربط الأحداث ببعضها - إلى محاولة مطابقة الصورة المرسومة في مخيلتى بالواقع ، إنكِ يا قمرى لغز ، كنتِ وما زلتِ كذلك ، لغز بالنسبة لى فى كل شىء ، حتى وإن كنتِ كالماء العذب لدى الآخرين ، بل رغم أنى أظن أنى ماهر فى معرفة الشخصيات من أول نظرة ومن اول كلمة ومن أول فعل ، ربما ذلك حقاً السبب ، فأنا لم أقابلكِ ولم أحادثكِ ولم أرى أفعالكِ ، أظن ذلك هو السبب ، ولكن الأغرب أنى لا أعلم سبباً لإعجابى بكِ أو ربما يمكنكِ القول حبى لكِ ، فحولى الكثير منهم من يدانيكِ ومنهم من يفوقكِ فى كل شىء ، ولكنى سأظل أقول أنتِ الوحيدة التي أتفق عليها العقل والقلب وفعلت فيهما ما لم يفعله أحد سواكِ .

إليكِ يا أنا

إليكِ يا من تشغلين بالى ليل نهار ، حتى فى ظلمات هذا الليل ، لا أدرى ماذا أقول ، فها بعد أن انقضى أكثر من شهر ونصف الشهر وأنا لم أكتب اى شئ يخص العاطفة على وسائل التواصل الاجتماعي ، بل أصبحت أُغلقها أحياناً كثيرة ، لا أدرى ما حالك وفى أى شىء تفكرين الآن ، لا أعلم هل لى مكان فى تفكيركم ؟! ، ألا أخبرك بشئ ! ، لم يعد يفرق معى ما تفكرين فيه ولا ما تظنينه ، إنى الآن أُحاول إقناع نفسى بنظرة جديدة للزواج

إن كان هذا قدرنا فنحن راضون ، فبعد أن أنهيت الكلية ، تفتحت فى ذهنى أمور كثيرة لم تكن ذات تأثير فى الحسبان من قبل ولكن ذهب ما كانت ترجح كفته ولم يبقى سوى تلك الأشياء ، ذهب الشوق كمؤثر حتى وإن بقى فى وجدانى لا يفارقنى ، وحل مكانه النظرة لحياتى المادية ، أظن أن علىَّ الصبر كى أنول ما أرغب فيه ، ولا يجب أن أحمل على كاهلى ما يعيقنى ، أظن أن الزواج في زماننا هذا قبل السابعة أو الثامنة والعشرين وهم ، وهم لا يجنى الإنسان من وراءه سوى التخلف عن أحلام كثيرة ، فقط للحفاظ على تلك الحياة الرتيبة

آسف حقا لنفسى أن وصلت لهذا الفكر وهذه النظرة ، ولكن لنكن صادقين ، أعلم الآن كم كنت منشغلاً بتوافه ، لا أنكر أن الزواج أمر عظيم ، ولكن ما سرت فيه خلال الفترة الماضية بسببه لم يكن عظيماً أبداً ، فأين ذهب شعارى إن لم تكن ليلى ففى الكون ألف ليلى ، وسلام عليها ما أحبت سلامنا فإن كرهته فسلام على أخرى ، أين ذهبت تلك الكلمات ؟! ، للأسف يحزننى أن أقول ذهبت وأنا منجر وراء تزين من النفس ، وسماح من العقل بعد أن أنهكته المهاترات الفكرية ، وربما احتياج من القلب بعد أن ذاق الجفاء لسنوات طويلة

ولكن على كل حال ، ها أنا أعود لرشدى ، أظن أنى لا يهمنى إلى أين وصل بى الانحدار بسببك ، يجب على كل حال أن أعتبرها تجربة ما زادتني إلا قوة وصلابة فى مواجهة مثيلاتها ، أظن أن الفرص لا تتلائم دوماً ، فما كان بالأمس شغلى الشاغل أصبح اليوم شغلك أنتِ وكل جيلكِ على ما أظن ، وما كان بالأمس زهدكِ أصبح اليوم زهدى ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، بل وصل بى الأمر إلى إلغاء فكرة الزواج من مخططاتى ، فلماذا اصطحب واحدة من بيت كريم فى طريق كطريقى - غير معلوم الملامح - ؟! .

أتدرين شيئاً آخر ، ها أنا متردد من حضور حفل تكريم حفظة القرآن ، عُرض علئ أن أكون من المنظمين ، ولكن لا أنوى الحضور لا منظم ولا متفرج ، يكفى أن أظن إحتمالية وجودك في مكان كى لا أخطوه أبداً ، يكفى هذا لأن أعتزل الكون بأسره ، لم يعد يشغلنى سوى عدم اقتراف أى ذنب حتى وإن لم يكن واضحاً ، أخاف المشاركة بنية صالحة وهى تضمر فى داخلها شرك ، أخاف ألا أكون ذاهباً لله إنما لرؤيتك أو حتى لإبراز نفسى وسط الحضور لعل اسمى يصل إلى سمعك ، فاللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه.

ولكن على كل حال ،ها قد صليت استخارة ، وبفضل الله كنت من المنظمين ، كان حقاً يوماً جميلاً ، يكفى أن تكون فى وسط أهل القرآن، فهم أهل الله وخاصته ، كان الحفل أكثر من رائع والجوائز كانت عظيمة ، والحضور والطلاب كانوا هم أعظم ما فى الأمر .

فحقاً صدق القائل ؛ هم القوم لا يشقى جليسهم ، فكيف له أن يشقى بين ورثة الأنبياء وحفاظ الوحى ومعلمى الناس الخير ، إنهم أقل ما يقال فيهم ؛ هم الأولون والناس من بعدهم ، بل هم الأكرمون المكرمون المقربون فى جنان الرحمن بحفظهم وبعلمهم الذى يبقى لهم حتى بعد موتهم ، فاشرف بها من صحبة .

كلما رأيتهم تمثل أمامى قول الله **(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** ، فأى خير وأى معروف خير من تعلم كتاب الله وتعليمه ، وأى نهى عن منكر أعظم من انتشال أبناء المسلمين من براثين الضياع إلى نفع يتبعه روح وريحان فى جنات المنان ، وأى فلاح أعظم من فلاح جعله الله لمثل هذا العمل .

فما رأيتهم إلا تمثل قول القائل (**من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ، ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن**) ، فأنعم بهذا فوز ، وأنعم بهذا ربح ، كل من ينظر إليهم لا يظن أن الدنيا ضنت عليهم بشئ ، حتى وإن ضنت فإن غناهم فى قلوبهم ، فأنعم بتلك قلوب ، أما الآخرة فالله أعلم بها ، ولكن يكفى ارتقائهم فى الجنان بترتيلهم ليبلغوا درجات لا يبلغها إلا ذا صاحب عمل.

ولكن كم كنت أتمنى رؤيتك ، ولكن الحمد لله أنه لم يقدر لى ذلك، الحمد لله ، الحمد لله ، رغم أنه شعور صعب ان تجاهد نفسك كل هذه المجاهدة ، أظن أن الأمر مضحك حقاً ، من ترغب فيها وتريد الزواج منها يمكن أن تكون على بعد بضعة أمتار فقط ومع ذلك لا تعرف شكلها ، ربما يجمعكما القدر لتمر من جوارك دون أن تعلم انها هى من تشغل عقلك وتحتل قلبك .

لأصدقكِ الحديث بحثت عدة مرات فى وجوه الحضور ، لعلنى أرى تلك المرسومة فى مخيلتى ، ولكنى لم أرى أحداً منهم يطابق تلك المنشودة ، أظن أنى رأيت فتاة تتحدث فى الهاتف ذات خمار أبيض ولكنى لم اتبين ملامح الوجه ، فلقد استبعدت أن تكون هى ، ولكن لا أدرى لماذا اشعر أنها أنتِ وقد اضعت فرصة رأيتك التى ربما لن تتكرر ثانية ، ولكن لله الحمد أن كل النظرات تلك وقعت صدفة ولم أكن متعمدها ، والحمد لله أن النية كانت خالصة لله ، أسأل الله القبول والإخلاص في الأقوال والأعمال جميعها .

أما أنا الآن فى ظلمات هذا الليل ، لا أجد إلا أن أتخيلكِ أمامى وأحادثكِ ، ف مساء الخير يا قمرى ، مساءٌ معطر برائحة الورد الفواح ، مساءٌ يقال عنه كما يقال عن الليالى الملاح ، مساء شوق وارتياح ، أعلم أنه لا ارتياح مع شوق ، ولكن لابد لارتياح مع طمأنينة بأقدار الله ، لا أعلم ما الله فاعل بى غداً ، ولكن أحسن الظن حتى وإن كان لسانى حالى يقول غير ذلك .

إليكِ يا أنا ، كم أشتاق رؤياك وصحبتكِ وجمعكِ ، كم أشتاق لرؤية تلك التي شغلت العقل واحتلت القلب بلا منازع ، كلما سنحت الفرصة للقياك ، وجدت مانعاً فى نفسى يمنعني من محاولة رؤيتك ، ربما تروادنى نفسى بأن أمثال تلك الفرص لن تتكرر ثانية ، ولكن عزائي الوحيد ، أنه إن قُدر لنا اجتماع فاللقاء فى بيتكم وحينها أنظر لوجهك حتى يرتوى قلبى ، وإن لم يكن لنا نصيب ، فمن الجيد ألا تلتقى عيوننا ولو صدفة.

ولكن ما زال التردد ملازم لى ، رغم اقتناعى أنى ليس بإمكانى الزواج هذه الفترة إطلاقاً ، بل ولا باستطاعتى أخذ خطوة واحدة فى هذا الأمر ، إلا أنى ما زلت افكر فى قمرى ، ما زال هاجس الزواج يراودنى ، إنى الآن في تردد ، هل أحاول من جديد ، أم اصبر إلى أجل غير معلوم .

أتظن الأمر هين ؟! ، لا ورب الكعبة ، وهل هناك أصعب من مصارعة النفس للنفس ؟! ، أن يتقطع داخلك بل يتمزق جراء صراعاتك الداخلية التى لا تعلم لها نهاية ، تحاول الإقدام ولكن كيف الإقدام فى مثل حالى هذا ، ربما يدفعنى حسن ظنى بربى ، ولكن لابد أن نعقلها ونتوكل لا أن نتواكل ، فإت عقلت أمرى فلا يجب أن آخذ خطوة واحدة للأمام ، ولكن ما ذنب داخلى ، قلبى وفؤادى روحى وسكينتى ، ما ذنبهم ؟! ، ولكن لا يصبرنى سوى من صبر ظفر ومن تأنى نال ما تمنى .

ولكنى فى نفس الوقت ، لم أعد أرى أن فى هذا الكون شيئاً يستحق العناء ، فكل ذا بريق تناسيته حتى نسيته .

أقول هذه الكلمات وأنا أكذب بها على نفسى لعلنى أصدقها يوما ، أو تصبح واقعاً يوما ما ، إن الحيرة تنهش رأسى ، فكل رأى من حولك وكل نصيحة لا يزيدونك إلا حيرة وتشتتاً ، كلما أقلعت عن فكرة الزواج عادت تروادنى ، بل وتدفعنى لقرارات لا أتمنى حدوثها ، فقط كى أتعجل فى أمر الزواج ، ربما عليك التنازل عن أحلامك لتتزوج ، أو تتنازل عن الزواج وتظل فى صراعاتك الداخلية من أجل أحلامك ، أنت فى هذا الصراع والناس من حولك لا يرحمون ، يتسائلون دائما لماذا لا تعمل فى أى شىء فلا تتوقع أن تعمل فى ما ترغب منذ البداية وآخرون لما لا تتزوج بعد ، وأسئلة أخرى كثيرة ، ولكن يكفى منها هذان السؤالان ليشعلوا نار الألم فى صدرك ، فلا أحد يقدر ما أنت فيه ، ولا أحد يهمه ما تحلم أن تصل إليه ، كل ما يشغلهم أن تصبح كما يقولون رجلاً وتتحمل المسؤولية ، بئس تلك المسؤولية التي تفرق بين المرء وما يطمح إليه .

لم أعد قادراً على التحمل ، مضطجر من البلد ومن البيت ومن حياتى ومن كل شئ حرفياً ، أريد أن أضع لكل هذا حدا ينتهى به ، ولكن من المؤسف أن أقول لا نهاية إلا بالموت .

هب أنى استطعت الصبر على دروب الحياة القاسية ، فكيف لى أن أصبر على نار الشوق المتأججة فى أعماق أعماقي ؟! ، هب أن الوقت مر وشغلتنا الحياة ، فكيف لى أن تمر علىَّ ليالى الإنتظار ؟! ، هب أن السعى هو الفاصل بين التوكل والتواكل ، فكيف لى أن أبلغ مقام السعى الذى يوصلنى إلى أحلامي ؟! ، فها انا الان أرى القمر وانعكاسه على الماء ، أما آن لأن أرى قمرى وانعكاس صورته فى عينى ، أما آن لهذا القمر أن يجالسنى ويضاحكنى حتى ينسينى ليالي الإنتظار هذه ، بل ينسيني القمر بل السماء بما تحوى .

كيف حالكِ يا قمرى ؟ ، أعتذر لك عن تلك الأيام الماضية ، فلقد أنستني الحياة فيها نفسى وكل ما يتعلق بها حتى أنتِ ، ولكنكِ لم تغيبى عن عقلى ولا قلبى ولو لثانية واحدة ، ما من مرة قررت فيها أخذ خطوة مصيرية إلا وكنتِ جزءً من الحديث مع نفسى ، للأسف يحزننى أن أخبركِ أن ذكركِ كان يزيد الطين بلة ، فكلما نويت الاستسلام للواقع والعيش كما يعيش الآخرون تذكرت أحلامى والتى أنتِ جزءٌ لا يتجزأ منها ، فإن تنازلت عما دار فى صدرى من احلام وعن ما حمله فؤادى فترة من الزمن ، فتنازلى عنكِ أهون ، وإن حاولت الحفاظ على ما أكن فى داخلى أصبح أمر الوصول إليك شاقاً أكثر مما هو عليه ، بل لن أبالغ لو قلت سيصبح مستحيلاً .

إنى فى حيرة من أمري ، رغم أنى على يقين أن ما قدره الله سيمر ، وأنه الخير بلا شك ولكن ما زال هذا العقل يؤرق ليلي ويبدد نهارى فى كثرة التفكير الذى لا ينبنى عليه أى عمل .

أيا قمرى ، أحدثكِ الآن وأبث كل آمالى وآلامى على عتبات بابك، أعلم أنه ليس لك من الأمر شيء أنتِ الأخرى ، وأعلم أن الأمر لله ، ولكن لا أدرى لماذا يستهوينى شعور الحاجة للحديث معكِ ، شعور يقلق حاضرى ومستقبلى ، كيف لا وكل حديث مع نفسى لكِ منه نصيب ، كيف لا وأنتِ قدركِ مربوط بقدري إن قدر الله لنا الإجتماع ، فتصبح خطواتى خطواتكِ وحياتي حياتكِ بكل تقلباتها وما فيها من حلو ومر ، أشعر أنى فى حاجة لسماع رأى نصفي الآخر ، فرضاه من رضائي وسخطه من سخطى ، أحتاج حقاً لذلك ولكن كيف السبيل وكل طريق فى رضا الله مقطوع .

بل أحادث أنجم الدنيا لعل الحديث يصل إلى قلبكِ ، قلبكِ الموصول بقلبي والشاهد على الوصل أنجم الدنيا وقمرها ، وحدهم من سمعوا أحاديث قلوبنا ورأوا شوق أرواحنا المتلهفة للقيا ، إن أبلغتكِ النجوم ما أريد قوله فأجيبى لعل النار المشتعلة في داخلى تهدأ ولو قليلاً .

جميلة أنتِ فى أحلامى ، جميلة فى كل شىء يخطر ببالى ، أظن أنى لم أرى الكمال إلا فيكِ ، فيا شوقى الذى لم ينطفئ ، ويا عشقى الذى لن ينتهى ، ويا قلبى وفؤادى وروحى وكل كيانى ، فيا أنا ، ألا تخبرينى بما يجب أن أفعله لعل الوصل مقرون بالوصول ، فإن حققت شيئاً ربما تهون الأمور فى نظرى وأستطيع أخذ خطوة أخرى فى سبيل الوصول إليكِ ، فهلا أخبرتى النجوم بأى شىء لعلها تبلغنى ما دار بينكما .

أنت يا حبيبتى ، أشتاق إلى رؤياكِ ومحادثتك شوق العاشقين المغرمين ، فأنتِ الكل وأنتِ نفسى ، أنتِ الكون وداخلى ، أنتِ كل شئ وضده ، أنتِ الإقدام والإحجام ، أنتِ الشوق والفتور ، بل أنتِ الحب والكره ذاته ، مذ تخيلتك وأصبحت روحى تنازعنى وقلبى يصارعنى وعقلى يفتك بى ، أصبحت حياتى متقلبة بين الشئ وضده ، أفعل ولا أفعل ، أُقدِم وأُحجِم ، آخذ قراراً ثم أتراجع فيه ، هذه هى حياتى مذ أصبحتِ جزءً لا يتجزأ منها .

أتعلمين يا قمرى أن الشوق بلغ منى أقصاه ؟! ، حتى وإن كنت تعلمين ذلك ، ما الذى سيفيد فى وضعى هذا ، إن نار الشوق لابد وأن تحرقنى أنا وفقط ، فلا يجب أبداً أن تتألمين كما أتألم أو تشعرين بما أشعر .

وهل كانت تلك الليالي وهذه اللحظات إلا اختباراً من اختبارات الحياة ، ليرى الله منا عملنا ؛ أنصبر ؟ ، أم أن الجزع والقنوط هو ما سيبدر منا ؟! .

فمنذ اللحظات الأولى وأنا على يقين أن ما أفعله غير منطقى إطلاقاً ، بل لا يتصل بالمنطق لا من بعيد ولا من قريب ، ولكن إحساس أنه عقلانى أو ربما يدفعك القلب والفؤاد أو ربما نور البصيرة، كل هذه أشياء كفيلة بأن تغلب كفة المنطق ، ولكنها وبكل أسف لا تستطيع إخماد نار الصراع بداخلك .

إحساس مختلط بداخلى ، أحدهما إحساس بالشفقة على قمرى ، وإحساس آخر يدفعنى لأن أنهى كل التفكير والتعلق ، شعور أنك لن تستطيع الإكمال ولن تكون قادراً على صون قلبك من ألم الفراق بمن رسمتها في مخيلتك إن لم يُقدر الله لنا اجتماع ، سنوات من الإنتظار المجهول نهايته ، ثم بعدهم فترة خطبة غير معلومة المدة والملامح ، وغير معروفة المآل ، هل إلى توافق ؟! ، أم إلى فراق ؟! ، أى أن المحصلة سنوات ، سنوات وأنا فى أوج شبابى وعاطفتى ، سنوات وأنا قائم على قلبى أطهره من كل شائبة ، صغيرة كانت أو كبيرة ، سنوات وأنت من حولك تحوم الفتن كما تحوم الغربان على الجيفة ، فإنى والله أحياناً أكون كالجيفة ، فهل جسد بلا روح يقظة وقلب متعلق بالله إلا جيفة ؟! ، وهل إنسان فى مثل هذا الزمان يجاهد نفسه وهواه وشياطين الإنس والجن إلا مرابط .

كلما عزمت على الإقلاع عادت تروادنى صفاتكِ وأخلاقكِ ، بل أصبحت صورتكِ المرسومة فى مخيلتى لا تفارق ناظرى ولو للحظة ، أصبحت أراكِ فى كل شىء ، بل أصبحت أرى أن كل شىء خُلق لأجلكِ ، خُلق لتكونين جزءً منه أو لخدمتكِ أو لمشاركتكِ إياه ، أنتِ يا قمرى كأغلى ما فى الكون ، من ذاق جماله وحلاوته ورأى بريقه أظن أنه لن ينساه أبداً ، أريد أن أتحدث كثيراً ، ولكن ماذا عساها تفيد الكلمات.

أغالب نفسى وأحاول النوم ، ولكن أى نوم يأتى فى هذا الشتاء - حيث البرد القارس والليل الطويل - قبل أن تصارع أفكارك وذكرياتك ، وتستحضر الأمس واليوم وتفكر فى الغد ، يمر الماضي كله أمام عينيك فى لحظة واحدة وبالطبع لن تلتقط منه إلا السئ ، ثم تربطه بالحاضر الذى لن تتذكر منه إلا ما ينغص حياتك ويزيد الاحساس بالألم أضعافاً مضاعفة ، ثم لا يأخذك هذا إلا إلى التشاؤم فيسوء تقديرك للمستقبل وتراه مظلم حالك شديد السواد لا انفراجة فيه ولا اتساعة .

ولكن لن يخرجك من كل هذا إلا حسن ظنك بربك القادر على تغيير كل شيء فى لحظة واحدة ، المخاطب لعبده فى كتابه قائلاً ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، وفى نفس الوقت مقر بأن الإنسان فى كبد وعناء ، إذ أن الحياة الدنيا دار عناء وابتلاء ، ولكن وحدها الطمأنينة بعد الحمد والرضا هى ما تريح الإنسان قليلاً وتجعله قادراً على إكمال المسير حتى نهاية الإختبار .

منذ متى وأنت تلاحقك الذكريات يا فتى ، بل أى ذكريات هذه التى تؤرق نومك وتنغص عليك حياتك ، لا ذكريات إنما هي أوهام يا فتى ، صنعها عقلك الباطن لكى يستسيغ عقلك ما كنت تقحمه وقلبك فيه ، إنك متبع لسراب لا أكثر ، لتعترف بذلك ، وتعلم أن الحياة لم ولن تكون بالمثالية التى ترسمها فى مخيلتك .

أتحدث مع صديقاى بالأمس فيدعو لى أحدهما بأن لا يمر عامى الخامس والعشرين إلا وأنا متزوج ، فيرد الآخر قائلاً بل لا يمر إلا وأنت معك من الأولاد ما شاء الله ، وقفت حينها موقف المدهوش ، أيعقل هذا ، إنه لأمر مستحيل لو تعلمون .

ولكن ما أن تذكرت نبى الله موسى بعد أن خرج طريدا قاصداً مدين ، لا بيت ولا زوجة ولا عمل ولا أمان ولا أى شيء ، ثم فى لحظة واحدة يتحول كل هذا ، فما كان جزاء إحسانه للفتاتين ، إلا أن جاءته إحداهما تمشى على استحياء ، فكانت بوابة الخير ، فأبدله الله بعد خوفه أمناً ثم رزقه بيتاً وزوجة بل ورزقه نبوة ، حينها تيقنت أن كل شيء ممكن ، ولكن يتبقى قول العزيز القائل للشئ من فيكون .

ربما من غير المنطقي أن تجلس فى هذا البرد القارس وحدك ، تفعل هذا فقط لتنظر للقمر ، تراه وهو يولد فكأنما يولد بداخلك ، فيحي بداخلك آمالك التى أماتتها مهاترات الحياة ، ويجعل الابتسامة تشرق من جديد بعد أن جعلتك الأيام عابسا ، ثم يأتى دور البرد ليغذيك بتيار من البرد يجعلك تنتفض كأن تيارا كهربائياً يسرى بداخلك.

تلك النسمات الفجرية تسرى بداخلك كأنها تيار كهربائي ، تجعل جسدك ينتفض من منبت شعرك إلى أخمص قدمك ، لكن رغم تلك الانتفاضة إلا أنها تشعرك بالراحة ، تشعرك باقتراب النور وزوال الظلمة ، تشعرك أن فجراً محملاً بأرزاق العباد آتٍ ، فتدعو الله لعل ما يفرح قلبك ويزيح تلك الهموم المطبقة على أنفاسك مصاحب لهذا الفجر ، فالفجر أمل جديد.

فها أنا الان أقف تحت السماء وحدى حيث القمر يغطى بهاه على كل النجوم المحيطة به ، أحاول أن أعيش لحظة صفاء الذهن ولو لثانية ولكن أنَّى لهذا الذهن أن يصفو من عناء التفكير ، فكأنكِ اهون الأشياء وأكثرها حباً إلى قلبى ، فكلما ضاق ذهنى هربت من ضجيجه إلى فكرة واحدة وهى أنتِ ، أنت التى كذاك القمر الذى فى ليلة تمامه اليوم ، أمامى ومع ذلك لا استطيع الوصول إليكِ ، كأننا شمس وقمر لم يكتب لهما اللقاء أبدا .

أعلم أن اللقاء لن يكون إلا بإرادة الله ، لذلك أحتسب أجر ذاك العناء الذى ألاقيه عنده ، فإننا إن كنا نتألم كالعاشقين ، إلا أننا نرجو من الله ما لا يرجوه الآخرون أصحاب الشهوات والهوى والنفس المزينة لهم المعصية .

ومع كل ذلك إلا أنى حينما أسقط فى فخ الشيطان ، وأعود للطبيعة البشرية المجبولة على العجلة واستعجال ما تراه الخير ، لا اجد من نفسى إلا انقياد طالما فى هذا الانقياد وصول إليكِ يا نجمى وقمرى المنير .

للأسف كلما أقلعت عن فكرة الزواج ، عادت تراودنى بقوة أكبرمن ذى قبل ، ما زلت في حيرة من أمري ، هل أنتظر العمل ومن بعده الاستقرار المادى ، أم أخذ خطوة فى أمر الزواج الآن ، وماذا لو ظل الوضع كما هو ، هل سأنتظر من جديد ام أبحث عن أخرى غير التي سحرت عقلى دون ان أراها ، وماذا لو انتظرت قمرى والإستقرار المادى سويا فلِما العجلة ، وفى نفس الوقت هل سأستطيع الإنتظار فلم تعد لى طاقة لا على الإنتظار ولا حتى على ضبط نفسى والبعد بها عن مواطن الفتن .

أعلم أن الله لا يكتب إلا الخير ، وكم من مرات حمدت الله فيها على تأخير أمر الزواج ، وفى نفس الوقت لكل شىء ضريبة ، ولكل شىء ثمن ، وطالما أنى أريد العفاف لا غير سييسر الله لى كل ما هو عسير ، ولكن أحياناً أقف موقف الحائر المتردد ، فلا أنا استطيع أن يكون عندى اليقين الكافى لأخذ هذه الخطوة ، ولا عندى العزيمة الكافية للتخلى عنه .

فى لحظات كثيرة أتسائل لماذا أشغل نفسى بالمفقود فى حين أن الموجود أكثر بكثير -لله الفضل والمنة - ؟! ، ومع ذلك لا أدرى لماذا أشغل نفسى بما هو آت ، ولا أدرى ما الذى علىَّ فعله تجاه أمور عديدة ، لا أدرى هل علىَّ أن أتبع هواى وما تطلبه نفسى وأحيانا يوافقه العقل ، أم علىَّ أن أتبع المنطق ، أعلم أن المنطق أصعب من العاطفة والواقع - بكل أسف - أشد صعوبة من كليهما ، أريد وفى نفس الوقت أخاف من عدم التوفيق ، أريد السعى وأعلم أن عون الله ومدده وتوفيقه يأتى أثناء السير فى الطريق والسعى نحو الهدف ولكن ما أخشاه أن يكون اليقين عندى مجرد كلمات اتشدق بها لا أكثر ، ولكن أتعلم لن يكون فى الإقدام خسارة أكثر من الإحجام ، فإن كتب الله لنا التيسير فهذا فضل منه وحده ، وإلا كأننا لم نقم من مكاننا ولم نتخذ هذا الطريق سبيلاً .

رغم ما فى الأمر من تأخير إلا أنه وبلا شك هو الخير المحض ، فى كل مرة أعيد فيها حساباتى لا أرى إلا أن ما كتبه الله هو الخير وهو أفضل من اى سيناريو تخيلته يوما ، فاللهم لك الحمد

أعظم ما يصبرنى ، أن ما عند الله لا يأخذ إلا بطاعته ، وأنى ما اخترتكِ يا قمرى المنشود إلا لصلاح أمر دينكِ وربما بعض أمر دنياكِ، فاللهم قدر لنا الخير حيث كان ثم أرضنا به

أتعلمين يا قمرى ما أحمله فى صدرى تجاهك ؟! ، أظن صورتك المرسومة فى مخيلتى قد حُفرت فى أعماق أعماق قلبى ، أظن أنه لا يمنعى عن محاولة رؤيتك إلا أن يسحرنى بهائك فتزداد حالتى سوءً ، وفى نفس الوقت أظن أنه قد مضى من الوقت ما يكفى لأضع النقاط على الحروف ، ولكنى اظن أيضاً أن فى تأخير الله هذا خير عظيم .

لا أخفيكِ سراً أنى استبطأت إجابة دعوات قلبى بأن يجمعنى الله بك عاجلاً غير آجل ، ولكن فى نفس الوقت اتيقن أنه الخير ، بل ربما أظن أن هذه الدعوات الصادقة قد رفعت بلاءات كانت ستهلكنى لولا ستر الله ، لا أخفيكِ سراً أن قربكِ صار حلما بل أنظر إليك الآن كأنك أعظم مكاسبى إن فُزت بكِ ، أعلم أن الإنسان يبحث دائما عن تحدٍ جديد وهدف غير الذى حققه ولكن العجيب أنى على شفا جرف من بحر الأحلام والأمنيات ولكن لا أدرى لماذا أراكِ أجدر الأحلام بالتفكير وأحقها فى البذل لها وأكثرها استحقاقا فى وقتي ومجهودى وعناء فكرى .

فيا أيها الحلم الضائع من بين يدى ، الطائر فى السماء كبالون قد أفلت من بين يدى صبى ، ينظر له دون أن يتمكن من الحصول عليه ، يقف حينها وقفة العاجز لا هو قادر على جلبه ولا قادر على تركه وعدم التفكير فيه ، فى لحظة الإفلات تندفع منه طاقة عظيمة تجعله يهرول خلفه أميال ويقفز أمتاراً فوق الأرض ، ولكن بعد فترة من العناء دون الوصول لنتيجة يقف وقفة اليائس فلم يعد يجدى نفعاً ما يفعله ، حينها يمكن أن يبدأ بالصريخ لعل أحداً يغيثه ويرد إليه حلمه الضائع إلا أن من حوله جميعاً لا ينظرون إليه إلا كشخص متبعٌ لسراب ، فيتعامل بعضهم معه بسذاجة وبعضهم بشفقة وآخرون باستهزاء وقليل من يحاول معه حتى بطمأنته على الأقل .

رغم أن هذا البالون لم يمكث فى يد الطفل بضع ثوانى ، وبجانبه الكثير والكثير وبإمكانه شراء آخر إلا أنه لا يشعر حينها إلا بالتلهف ، فهذا وحده من اخترته من وسط كل هذه البالونات ، هذا وحده من جذبنى نحوه ، هذا وحده من خطفنى من بعيد ، رغم أنى لا أعلم عنه أى شىء ، بل لا أتذكر شكله حتى ، فلم يهمنى الشكل حين رأيته لبضع أجزاء من الثانية لأن كل ما كان يشغلنى هو البحث عن سبب مقنع يبرر شغفى به وسعىّ للحصول عليه .

ولكن أتعلم بعد أن أوشك الطفل على اليأس التام منه ، زاهداً لفترة فى كل البالونات المحيطة به أو ربما آخذاً بالوناً دون الشغف به على أمل الألفة التى ستحصل بينهما بعد قليل من اللعب ، بعد هذا كله يقف وحيداً محسناً الظن بربه ، متيقناً بالإجابة ، فرغم أن كل شىء يقول أن البالون ذهب بلا رجعة وأن من المستحيل أن أجتمع به ولكن الله قادر على كل شئ ، لا أدرى كيف ولكنه اليقين فى الله وحده هو ما يدفع هذا الراجل الناضج صاحب قلب الطفل لأن يستمر فى السعى وراء بالونه .

أحياناً يُقال (**البعيد عن العين بعيد عن القلب**) ولكن مالى لم أرى قمرى وجها لوجه ولم أقابله حتى لمرة واحدة ومع ذلك لا يفارق قلبى ولو للحظة غير أن طيفه أمامى لا يفارق مخيلتى ، لا أعلم كيف ولكن هذا ما حدث ، تصيبنى الدهشة والحيرة من جراء هذا ولكن أظن أن الله قد ربط بين قلبينا ، فإن لم تتلاقى أجسادنا تلاقت أرواحنا وأنشدت من كلمات الحب ما يثير الوجدان العليل ويحيى قلوباً قتلتها المادية ويبث الأمل كلما استحكم اليأس .

ويُقال أيضاً (**طول البعد يعلم الجفا**) ولكن رغم كل هذه المسافات والأزمان لا أجد من قلبى وعقلى إلا تلهف للقياكِ ، كأنه كلما ازداد البعاد ازدت أنا شوقا وحنيناً .

ويُقال أيضاً (**من صبر ظفر ، ومن تأنى نال ما تمنى**) ولكن لماذا يجب علينا أن نُصدق هذا الكلام ، أكره جداً السيناريوهات الجيدة التى فى نهايتها فوز وتحقيق للآمال وانتهاء للصراعات ، فمنذ متى والدنيا دار جزاء ، فمنذ أصبحت أتأمل الخير وأضع الافتراض الأفضل وأنا أصبحت فى دوامة من الترقب والانتظار ، فحينما كنت أضع أسوء الاحتمالات وأبذل للحصول على أفضل شئ كنت حينها فى راحة نفسية واطمئنان بأنه لن يحدث شئ أسوء مما أتوقع .

ولكن الآن أشعر أنى خائف جداً من المستقبل ، وأن الغد لن يكون كما أرغب بالتأكيد ، ربما ذلك بسبب الفترة العمرية التى أعيشها وهى ما بعد التخرج ، وربما بسبب تغير نمط التفكير قليلاً .

حينما أنظر للقادم أتسائل هل بإمكانى تحقيق المراد بل هل يمكننى تحمل مسؤولية ما هو آت ، فالواقع مرير حقاً والحياة صعبة بكل ما تحمل من معنى ، أكاد أتلاشى من كثرة التفكير ، بل يكاد رأسى ينفجر ورغم ذلك واقف مكانى لا اتحرك ، أفكر فقط دون أى فعل أو خطوة فى الطريق ، وحينما حاولت إشغال نفسى لم يعد هناك أى وقت حتى للتفكير فى التمييز بين الصالح والطالح مما هو قادم وما يناسبنى وما لا يناسبنى ، لذلك عدت من جديد أفكر وانا واقف مكانى لعل الفرصة تلوح أمامى فأقتنصها .

ولكن متى تأتى الفرصة وكيف سأقتنصها بل هل يمكننى ذلك ، كل هذا في علم الغيب ولا أدرى لماذا أشغل به نفسى ، ولكن جل ما يؤرقنى أنى لن استمر على هذا القرار طويلاً ، فبلا شك سيتغير تفكيرى وقرارى قريباً جدا .

إن أغلب ما يجعلنى فى مكانى هو التفكير المستمر دون إقدام فقد قيل إن آفة الرأي أن تتردد ، وقيل أيضاً إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة، ولكنى دائما أترقب الأفضل وأحاول التحسين والتطوير وأظل أبذل دون أن أضع حدا ووقتاً به انتهى واحقق المراد وارضى بما هو كائن .

إن فكرة المثالية وحدها ما يجعلنى جالدا لذاتى وكثير اللوم لها على تقصيرها حتى وإن بلغت أقصى استطاعتها ، المثالية فى العبادة المثالية فى العمل فى الدراسة فى الزواج فى العلاقات فى اى شىء ، فإما أن يكون الشئ مثالياً أو لا يكون ، وبما أنه لا يوجد فى الحياة اى شىء مثالى فلن يكون اى شىء ولن أحقق اى شىء ، والأسوء من ذلك أنى لا أستطيع المداومة على شىء حتى وإن قل .

فحياتى عبارة عن قمم وقيعان ولا أدرى متى تستقيم ، وبين كل فترة وأخرى تأخذنا الحياة في دواماتها وتحيطنا بماديتها المفرطة ، وتقطع كل السبل المؤدية إلى بيئة إيمانية ، فنقف وحدنا فى عراء المدينة ، نواجه كل مشتتاتها وشبهاتها وماديتها ، فيصيبنا الخواء الروحى ، نشعر حينها بفراغ فى داخلنا ، أحياناً أريد حينها أن اضغط على صدرى حتى تختلف ضلوعى ؛ فقط لاتخلص من ذلك الفراغ ، لا يشغلنى فى هذه الحالة - رغم الحياة المادية المغموس فيها - إلا أن أعيد الوصل بينى وبين السماء ، أن أنظر إلى السماء وبمجرد الدعاء وإخراج ما بداخلى من كلمات حتى تحل محلها السكينة والطمأنينة وايمانيات وروحانيات أكون قد فقدتها لفترة ، ولكن أصعب حالة ، حينما تبعدك المادية حتى عن القدرة على مناجاة ربك ، حينها فقط لابد من معين يأخذ بيدك ، ويشد عضدك حتى تسعيد قواك لمواجهة تيار الحياة الجارف .

ولكن أحياناً كثيرة تكون الحياة المادية وحساباتها هى المعين لك فى دروبك القاسية بل المهلكة ، فبنظرة مادية واحدة يمكن تهوين عناء التفكير ومرارة الاحتمالات ، فقط قل لنفسك ، إذا كنا نضيع سنوات من عمرنا لأجل شهادات أرضية لا قيمة لها ، فلما الخوف من بذل بضع سنوات لأجل شهادات سماوية .

ولكن حينما تطول تلك الحالة ، وتزداد النكتات السوداء فى قلوبنا ، وتعلو الحواجز الفاصلة بيننا وبين طريق العودة ، وتحيط أسوار الغفلة بنا من كل جهة فلا تدع لنا بريق أمل يحى النفوس ، ثم تأتى الكارثة المفجعة وهى انعزالك عن من حولك ، ثم من بعدها الطامة وهى الفراغ ، أترى بعد كل هذا يمكنك العودة بسهولة ، أيمكن لقلبك أن يحيى من جديد ، حينها لا نمتلك سوى أن ندعو الله أن يهبنا قلبا نعبده به .

فحقاً كارثة أن يجتمع عقل ناضج مع قلب عاطفى فى جسد واحد ، ولكن دعنا نقول أن هذه الكلمات فى مجملها وبنظرة فوقية يمكن القول بأنها سليمة ، ولكن مع التفصيل والتأصيل نجد أن الكارثة فى عدم اجتماعهما .

يمكننا القول بأن الكارثة تكمن فى الصراع القائم بينهما ، ولكن ماذا لو اتيحت للقلب خياراته ، وظل العقل مرشداً بدلاً من أن يكون مانعًا .

بل أظن أن الشخصية المتزنة هى التى تجمع إلى نضج العقل عاطفة القلب ، فتجده ألين ما يكون فى موضع اللين وأشد ما يكون فى موضع الشدة ، تجد الحزم وصواب الرأي أكثر ما يميزه وتجد قلبه النقى وعاطفته الجياشة أكثر ما يحبب فيه عباد الله .

فالمتأمل يجد أن الكارثة فى الحرب التى يدور رحاها فى داخلنا وطرفى الصراع عقل ناضج بماديته المفرطة وحساباته الدقيقة واتزانه الفكرى وعلمه المُفرق بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ وقبل كل هذا بين الحلال والحرام ، والطرف الآخر قلب بعاطفته ولينه ونقائه ، فرغم أن أسلحة العقل أكثر فتكاً وحسماً للأمور إلا أن خطورة سلاح القلب فى قدرته على استنزاف قدرة العقل حتى يصل إلى مرحلة الاستسلام .

ولكن الجميل فى الأمر أن العقل الناضج لا يلبث إلا أن يلملم جراحه ويقوى دفاعاته وهجومه ويعيد الكرة من جديد بتوبة صادقة .

لذلك يا قمرى لا تحسبين أن من عاش فى النور طوال حياته ، سيعيش فى الظلام للأبد من أجل أحد ، سيأتى يوم إن لم يشعل الضوء الذى اطفأه ، سيغادر حتى دون أن تشعرين ، سيذهب بلا عودة ، وفى الناس أبدال وفى الترك راحة .

ربما يتحمل قليلاً أو ينتظر لتحقيق مراده ولكن فى النهاية تتبدل الأيام وتنقلب حياته رأساً على عقب ، ثم يرى ما لم يكن يراه من قبل ويعلم أن الحياة ماضية حتى لو تجمدنا نحن مكاننا .

ربما أكثر شيء ندمت عليه لاحقاً ولم انتبه له إلا متأخراً هو وعودى المتكررة وكلماتى التى أضع الوفاء بها معياراً للرجولة والرشد ، لم أكن أتخيل يوماً أنها ستصبح حملاً ثقيلاً لهذه الدرجة ، لم أكن أتخيل أن الأمر سيطول ويصبح الوفاء به شبه مستحيل ، ولأزيدك من الشعر بيتاً ، للأسف لم أضع الحياة بتقلباتها كلاعب أساسي فى هذا الأمر ، كنت أفكر في الحياة بكل مساوئها ولكن للأسف كنت أهرب منها بهذا الأمر ، وما يزيد الحمل ليجعله مضاعفا أن ينتظر الآخرون منك الوفاء ، فهذا أعظم ما لم تضعه في الحسبان ، لم تكن تتخيل أن يوما سيأتي منتظراً أحدهم الوفاء قبل أن تسبقه لذلك بأميال ، ولكن أظن أن ما يهون علينا أن الأمر كله لله ، فهو المعطى وهو المانع ، هو الضار وهو النافع، هو القادر القائل للشئ كن فيكون.

لا أدرى كم من الأعوام سأنتظر من جديد ، سنتان مروا فجعلوا منى شخصاً آخر ، هذا غير أن أهم شيء طرأ علىَّ هذه الفترة التطور الملحوظ في الكتابة ، اظن لولا تلك الكلمات الصادقة التي كانت تخرج من أعماقى ما أصبحت ما أنا عليه الآن ، حتى وإن كنت إلى الآن لا شئ ولكن مقارنة بما قبل هذه المدة الزمنية أفضل بكثير

ربما فى الفترة الأخيرة استحكم فىَّ جلد الذات والصراع الداخلى إلى أن وصلت إلى من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، فها هى السنوات تمر واحدة تلو الأخرى وما زلنا نحن كما نحن نعيش الوهم بإرادتنا ونستلذ بألمه دون أن يكون هناك أى واقع يدفعنا للإستمرار.

صراع العقل والقلب

ها أنا الآن أحاول تجاوز التجربة السابقة ، مستعيناً فى ذلك ببناء أخرى ، ولكن العجيب فى الأمر اختياراتى وترتيب أولوياتى ، ربما ليس فى من اخترتها هذه ما كنت أرجو وأتمنى ولكن لم يدفعنى للتقدم لها سوى كلمة واحدة قيلت في حقها ، كلمة قالها شخص حينما سألته عنها فقال هى أطهر وأنقى فتاة فى جيلنا ، هى فتاة تَمَلَّكها الحياء ، لذلك ذهبت لها لدينها وأخلاقها متناسياً بذلك كل ما كنت أضعه فى مقدمة الأولويات .

ربما من الجيد أو لا أدرى ربما يمكنا القول من السئ ، أنى أختار الآن وأنا فى تخبط فكرى تجاه عمل المرأة واختلاطها ببيئة العمل والمجتمع هذا الذى يحتوى على كل رذيلة ، بل وصل الأمر لقرارات كانت منتهية بالنسبة لى مثل الكلية وأثرها فى تشكيل العقلية.

ولكن ما يريحنى قليلاً فى هذه الخطوة أنى لست فى حاجة لتحميل نفسى فوق ما أطيق ، عائدا بهذا إلى ما كنت عليه سابقاً رافعاً شعار سلام عليها ما أحبت سلامنا فإن كرهته فسلام على أخرى ، بل والأعظم من ذلك أنى لست فى حاجة لأن أظل فى سعى دؤوب لأحقق مبدأ القوامة على زوجتى من حيث العلم والمال والمكانة الاجتماعية وغيرها ، كونها فى كلية ليست من الكليات العملية يزيح من على كاهلى أحمالاً كالجبال ، وتاركة بذلك لى المساحة الحرة فى إختيار الاختيارات المناسبة لى ولقدراتى النفسية والبدنية .

لأول مرة أشعر أنى كنت على صواب فيما فعلت ، رغم أنى دائما ما يساورنى القلق والتردد حِيال مثل هذه الأمور ، رغم ما حدث إلا أنه كان أصوب فعل أقوم به ، إحساس أنك لست فى حاجة لأن تُخفى أمرا لا يساويه ثمن .

لذلك يا أخى ، حينما تعجب بفتاة ، أول شىء تفكر فى فعله هو دخول البيت من بابه ، تقدم حتى وانت تعلم أنك ستُرفض ، كن رجلاً وتحمل نتيجة قراراتك ،وحينما تكن جاهزاً تقدم مرة أخرى .

ذلك كله من أجل إن وضعت فى موقف محرج لا تخجل من ورود إسم من تعجب به فى وسط الحديث مع أحدهم ، إنما تكون واثقاً من نفسك وتعلم جيداً أنك لم تعصى ربك ، ثم تقول تقدمت لفلانة وليس لى فيها نصيب بعد ، ولا احد يعلم أين يكمن الخير .

ولكن أيضاً لنكون واقعيين ، فأمر الزواج للأسف أصبح أكثر تعقيداً مما مضى ، فكثرة الشواغل والمشتتات بجانب الضغوطات الحياتية وأضف إليهم الابتلائات فى طريق الحق ، كل هذا واضعافه من جوانب أخرى ؛ يجعل الشخص يفكر مليا قبل خطوة كهذه ، ثم إن الاستطاعة أصبحت أكثر عبئا وحملا على أكتاف الشباب ، فمن جهة سوء الحالة المادية للأغلب وضعف الرواتب هذا إن وجد عملا ، ومن جهة أخرى متطلبات الزواج ، إلى جانب الاستعداد النفسي للشريكين لمواجهة الحياة ....الخ .

الأمر بسيط ومعقد فى نفس الوقت ، ولكن إن أراد الله فسيقول للشئ كن فيكون .

فغريبة هذه الدنيا حقاً ، غريبة بقدر غرابة ما يحدث فيها ، فكأنها لم يُكتب لأحد فيها أن يفوز فى كل معاركه ، كل منا لديه معاركه الخاصة التى يدور رحاها فى أماكن وأزمان شتى ، واقساها بلا شك المعارك التى تدور بين أضلعنا وفى مرحلة الشباب ، قاسية لا لماديتها المفرطة وخسائرها الفادحة فى العتاد والعدة إنما قاسية لأن الخصم هو النفس والهالك الروح .

فغريب أن أفوز فى كل معاركى ، إلا تلك التى اخوضها أمامكِ ، فرغم عزمى الذى كالصخر وصبرى الذى كصبر أيوب وشدتى التى كالامواج المتلاطمة ، رغم كل هذا إلا أنى لا اجد إلا الوهن والضعف أمامكِ .

فيا أميرتى وقمرى ، لكِ دعاءٌ لا ينقطع ، وفيض حب فى القلب يندفع ؛ كافٍ لأن يروى ربوع الأرض حبا وحنينا ، لكِ أشواقى المتزايدة ؛ الكافى لهيبها بأن يحرق أنفسنا بل الأرض ومن فيها ، لكِ قلب لا ينبض إلا بحبك ، وروح لم تتعلق إلا بسواكِ ، وعقل لم يرى فى النساء تصلح له غيركِ ، لك أعين لم تعد ترى من النساء أحداً ليعود إليها نظرها برؤياك ، ويد لم تمس من غير محارمها أحداً منتظرة أن تمس محياكِ ، فيا كنزى ويا دررى ، ألم يكتب لنا لقاء بعد !؟

غريبة هذه الحياة بكل ما تحمل من معنى ، غريبة فى مواقفها فى تجاربها حتى فى نصائحها ، كل إنسان يقدم للأسف واقع تجربته هو ؛ لا ما يصلح للمنصوح ، كل إنسان يرى رأيه وحده الصواب ،وتجربته هى الوحيدة التى تستحق أن تُتَّبع ، يرى أن الكل لا يصلح له سوى أن يكون نسخة من شخصه ، وحياته هى الوحيدة التي يجب أن تكون مرجعاً للجميع ليقيس نجاحه وفشله بالنسبة لها .

فتباً لأولئك الناصحين الذين هم فى الأصل مفسدين ،يعطونك إبرة تخدير بدلاً أن يعطوك طريقة للعلاج حتى وإن كانت قاسية ، يؤثرن الراحة عن التعب ويتعاملون مع توفيق الله وتقديره بسذاجة عالية .

أحياناً كثيرة نحاول أخذ النصائح للخروج من المتاهة ؛ فندخل فى متاهة اكبر ، لا أنكر أن القرار يكون أصوب ،ولكنه أيضاً أصعب ، ويستنذف جهداً كبيراً ويستهلك طاقة كفيلة بخوض تجربة فاشلة واجتيازها إلى أخرى .

تدور فى ذهنى الآن آلاف الأسئلة وآلاف آلاف الإجابات وآلاف آلاف آلاف الأفكار ، كل منها يأخذك فى وادٍ غير الآخر ، كل منهم يريدك كلك او معظم وقتك وفكرك ومجهودك ، كل منهم للحصول عليه يقابله تنازل عن الأخرى ، والأسوء أنك لا تعلم كيف ستسير فى أى منهم .

فعلى سبيل المثال لا الحصر ، فكرة الخطوبة والزواج والعمل والهجرة والسفر والمنح الدراسية وأمنك الشخصى وقبل كل هذا ما يتأمله الأهل منا ، كل واحد من هؤلاء تحته مئات الأسئلة والاستفسارات ، ومزيد من البذل والعناء فى حين أن طاقتى قد انتهت بالكامل ولم يعد عندى اى قابلية للبذل دون أن اجنى نتيجة ما بذلته سابقاً .

فلا أعلم أين الطريق ولا كيفية السير فيه ولا حتى كيفية الوصول إليه ، أعلم أنه لا يوجد أى إجابة من تلك الأسئلة عندك ، ولكنى فى حاجة إلى الإستماع الآن أكثر من الحديث ، أريد الإستماع من الجميع ، لعل الحل يأتي من حيث لا أدرى .

حقاً لا أدرى لماذا أضع نفسي فى هذه الدوامة ، رغم أن الأمور لله الفضل والمنة حتى الآن تسير أفضل مما أتوقع بكثير ، ولكن بمجرد أن تفكر فى المستقبل وتدخل فى دائرة المجهول وتحيطك اسوار الغيب حتى تبدأ فى الانزلاق إلى تلك الدوامة بلا رجعة ، تأخذك أحياناً للقاع حيث سوء الظن بالله ثم تطفو بك قليلاً حيث محاولة وضع سناريوهات أفضل ولكن يبقى مرور الوقت هو قاتلك ، ثم تطفو على السطح حيث الصبر والتصبر وما ينتشلك منها إلا حسن الظن بالله فهو وحده المنجى من عناء التفكير ، وحده من تطرح كل ما على ظهرك على عتبات أبوابه وتدعوه بكل ما فى نفسك وترجو منه وحده الخير ، فسبحانه حاشاه أن يضيع عبدا وقف على عتبات بابه طارقا إياه وراجيا رحمة الله كى تمر هذه الدنيا بسلام .

فها هى الحيرة تزداد وتقل ، رغم اليقين الذى يتملك قلوبنا إلا أن واقع التجربة يفضح كلماتنا التى ظاهرها الرضا ، لم تكن تشغلنا يوماً حتمية الوصول بقدر ما كان يشغلنا حتمية السعى ، وما جعلنا فى حيرة الآن هو الضبابية التى تتخلل طريق السعى ، فلا انت تعلم كيف ولا متى ولا أين .

أعلم أن الأمر منقسم إلى جزئين ، جدية السعى والرضا بالقدر ، أخاف عدم الرضا أخاف السقوط ، وفى نفس الوقت لا أعلم للسعى الآن طريقا ، فمرحلة جديدة كالتى أنا على مشارفها مليئة بالطرق صالحها وطالحها إلا أنى لا أعلم اى الطرق سأسلك وهل سأجد مكانا فيها أم لا .

لله الفضل والمنة عندنا يقين راسخ أن الله لا يكتب لنا إلا الخير ، وأنه يقدر لى الخير وفقط ، ولكن تظل الرغبة الحالمة فى موافقة الخير الذي يكتبه الله لهوانا ، وأيضا نخاف أن يكون لواقع التجربة رأى آخر ، فأنا لم اختبر ذاك اليقين إلا فى مواقف معدودة وكنت على وشك السقوط حينها .

إلا أن أحياناً كثيرة تتملكنا مشاعر مضطربة ، تشعر معها أن شيئاً ما ليس على ما يرام بداخلك ، تشعر بالقلق وأحياناً بإنقباض فى قلبك ، تشعر أن شيئاً ما سيحدث ، لا تدرى ما هو ولكن كأنك تراه رأى العين ، يدخل إليك إبليس حينها من أبواب كثيرة ، ويثير الفزع بداخلك ، ولكننا فى كل مرة لا نجد إلا كلمات الله كى تكون بردا وسلاما على قلوبنا وتهدئ من روعنا وتطمئن أفئدتنا .

فتقدير الله دائماً هو الأفضل ، وإرادته دائماً أفضل من أي تصور لنا .

للأسف هناك مواقف نشعر فيها بفقدان الأمل ، بضياع البوصلة ، أحياناً نشعر أنها نهاية الكون .

وللأسف أيضاً كوننا مهندسين نمتلك صفة هى الأشد فتكاً بعقولنا وأجسادنا ، إنها التفكير الزائد عن حده أو كما يدعى " الأوفر ثينكينج " ، فنظن أن الحياة لابد أن تسير بحساباتنا نحن التى نعتقد أنها مثالية وستوصلنا إلى ما نرغب فيه بالملى ، وللأسف أيضاً أننا فى أغلب الأحيان لا نفهم السر فى تدابير الله ، ولكننا على يقين أن رب الخير لا يتأتى إلا بالخير .

ولكن لا يبقى سوى الوقت قاتل لنا ، وقعنا بين رحاه ، سقطنا بين أعمالنا أعمارنا وبين لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن

عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه ، تمر الدقائق فتنخر فى أجسادنا المتعبة وتهلك ما بقى من أرواحنا المتهالكة وتقضى على ما تبقى من بقايا الأمل والشغف والطموح .

فلا نحن بلغنا مرادنا ، ولا حققنا شيئاً يبقى لنا فى حياتنا وبعد مماتنا والأدهى والأمر أننا لا نعلم لذلك سبيلاً ، أعلم أنى أسير بخطى ثابتة فى طريق السعى وبدايتى أفضل ممن بدايات الكثير ممن بلغ وترك أثراً ، ولكن يبقى السؤال الذى يتردد حتى أصبح كوسواس يقهر أى فكرة للراحة أو حتى الاستمتاع بمرور الوقت حتى في الحياة الاجتماعية.

فحالة العزلة التى فرضتها علينا كليتنا ، والإحساس المستمر بالضغط ، ما زال يلازمنى ، أريد فعل كل ما يحلو لى ولكن شعور أنك لم تنهى مهامك الدراسية بعد يقيدك حتى ولو لم تنجز اى شئ خلال مكوثك فى البيت ، ولكنه وحده الاحساس بوهم الضغط هو ما يؤرق حياتنا .

أنا أضعف من آخذ قراراً فقط لمجرد رغبتى فى العجلة فى أمر ، تجاهد نفسك ، تأخذ القرار ، ثم تظل نفسك تتخبط بين الاحتمالات ، بين ما تمنى بها نفسها لو صبرت ، وبين ما تراه حقيقية وواقع ، وبين ما لها من حق علىَّ .

فنفسى ليست ككل النفوس ، إن لى نفساً تواقة لا تكل وتمل حتى تبلغ ما تريد ، ولكنها لا ترضى بأن تكون خياراً من ضمن الخيارات ولا مجرد إحتمال ربما يحدث أو لا ، هى أعز من ذلك بكثير ، وحقها أن تكون الإختيار الأول والأخير ، أن لا يُرى سواها ، أن يُتلهف للقياها ، أن تُرى بعين المحب فارساً لا يعوض ، وفى عين أهله رجلاً لا يُرد ولا يُخيب أمله .

منذ فترة ليست بالقليلة لم أسأل نفسى ما مواصفات من أتمناها زوجة لى ، كنت أضع مواصفات جمة وأشياء قياسية تشعر معها أنى أبحث عن حالة مثالية ، أو أنى أبحث عن الكمال ذاته ، ولكن حين سألنى أحد زملائى فى العمل عن مواصفات من أرغب فى الزواج منها ، فكرت لمهلة ثم لخصت كل ما دار فى ذهنى فى بضع كلمات ، قلت (أريدها تقية نقية مسلمة عاملة بإسلامها) لم أتخيل يوماً أن اكتفى بهذا الحد فقط متنازلا عن كل الكماليات التى كنت أضعها فى ذهنى .

ولكن حين تفكرت جيداً فى الأمر ، وجدت أن هذه الكلمات كافية جداً إن تحققت فى ذات الشخص ، فنبى الله موسى دفع من عمره عشر سنوات لصفة واحدة ، أن جائته إحداهما تمشى على استحياء ، دفع كل هذه السنوات فقط لحيائها ، حتى وإن كان هناك من الصفات والمكاسب الأخرى ما يعين على ذلك ولكن الصفة الأهم والميزة المركزية هى الحياء .

ربما وجدت تشابهاً فى حالتى مع نبى الله موسى ، ففى اختيارى الجديد كان أهم دافع هى كلمة قيلت فى حق تلك الشخصية حيث قال (هى أنقى وأطهر من فى جيلها) هذه فقط كفتنى عن كل ما كنت أطمح له واسعى إليه ، هذه فقط جعلتنى أقلب أولوياتى رأساً على عقب ، هذه فقط تجعلنى أدفع العمر كله إن كانت هى فعلاً كذلك .

أتعلم يا فتى ؟ ، لم يصبك ما أنت فيه الآن منذ فترة من الزمن ، انشراح صدرك لأمر رغم تشتتك وحيرتك ، الإقدام عليه رغم أنك لم تفكر يوما أن هذا يمكن أن يكون اختيارك يوماً ما ، ولكن ماذا عسانا نفعل سوى صلاة استخارة ودعوات تخرج محملة بكل الحيرة والتشتت والهم الذى يخالط صدرك .

كل ما ضاق صدرى ، ورأيت الحياة شاقة ، وتحولت أحلامى لسراب ، وصعب الوصول لأهدافى ، حتى تصبح عينى لا تبصر إلا الألم ولا يلوح أمامها سوى الظلام ، تذكرت قول الله تعالى (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ) ، حينها يسكن الألم قليلاً ، وتخفت فطرة العجلة اللتى جبل الله بنى آدم عليها ، حينها تصبح الأمور أوضح ، ومدى النظر أوسع ، والقرارات الصادرة منى أرجح ، ثم ما أن أتذكر نهاية الآية (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) حتى أسلم تسليماً تاماً لكل أقدار الله ، ما أحبه منها وما أكره ، فسبحانه هو الأعلم بما يصلحنى والحكيم الذى يعلم كيف يصلحنى ويرشدنى ، فاللهم لا تكلنا إلى أنفسنا ، وهون علينا مرارة الصبر .

ولكنى لا أدرى فعلاً ما الذي علىَّ فعله ، أتصدقنى لو قلت أنى لم أعد أدعو الله بشئ ، فلم أعد أدرى ماذا أريد لأدثره فى ثنايا دعائى ، كل ما صرت أفعله هو تنهيدات تخرج محملة بكل ما فى صدرى مع زفرات متبوعة بيا رب ، وتذكير اخوانى بأن يدعو لى بهداية القلب .

قد سمعت منذ أيام كلمات مفادها إياك أن تفهم الابتلاء بطريقة خاطئة ، فمذ سمعتها وأصبحت تلك الكلمات شغلىَ الشاغل هذه الأيام ، لا لشئ إلا لأنها توافق اقتراب ذكرى هى الأسوء فى حياتى - عافانا الله وإياكم من كل مكروه وسوء - ، ولكن رغم مرارة تلك التجربة إلا أنها أثارت بداخلى معانٍ جمة - لا يتسع الحديث لعدها - ، معانٍ عظيمة بقدر أصحابها ، عشت في تلك الأيام القلائل لحظات كنت فيها أخاطب الله كأنه لم يكن بينى وبينه حجاب ، أدركت معنى كثير من دعوات الأنبياء ، عشت فيها بلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من

الظالمين ، ورددت كثيراً اللهم إنى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين ، وكانت كلمات ك (ربى إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى ، ام إلى عدو ملكته أمري ،ربى إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك أعم وأوسع) لا تفارق لسانى ، بل كانت حسبنا الله ونعم الوكيل لا تفارقنى لحظة ، كان حقاً ذكر الله ودعواته لا تفارق لسانى.

فبعد مضى اربع أيام من بداية تلك التجربة كانت أول سجداتى ، بكيت فيها إلى أن سمع من حولى أنين قلبى وتضرعه إلى ربى ، فهل تعجب لو قلت أنى خلال هذه الأيام الأربع كنت أصلي بعينى ، كنت أذهب للحمام فأتوضأ خلسة ، ثم أجلس فى زاوية وأصلى ، لهذا هدانى تفكيرى حينها ولا أدرى أصواب هو أم ماذا ، كنت حريصاً على ألا اظهر اى سمة تدين ، ولكن بعد أن حقق معى ضابط امن الدولة ، ولفق لى المحضر ووضعت التهم الجاهزة ، فلا يضر حينها إبراز تدين ، ولن يجدى إخفائه ، فى كل خطوة كنت اتيقن انى هالك لا محالة ، ولكن لا أعلم سبباً لخروجى من بين أيديهم إلا أنها معجزة ، فاللهم كن معنا ، فانت المعين والقادر القائل للشئ كن فيكون .

منذ فترة تروادنى الذكرى الأولى لأسوء أسبوع مر علىَّ فى حياتى كلها بل وحياة من حولى ، ولكن الأسوء من هذا الأسبوع هو اليوم ، فاليوم ثقيل حقاً على نفسى ، يكفى أن تسمع خبر إعتقال أحد أصدقائك ومن له أثر بالغ فى تكوينك النفسى والثقافى والفكرى ، كنت أراه مثالاً يحتذى به حقيقة ، فكان خير قدوة وخير مرشد بسلوكه لا بكلماته ، فعليه من الله رحمات تسقط على قلبه فتهون عليه كربته وأسأل الله أن يفرج عنه وعن جميع المسلمين .

ما زالت تلك الأخبار و شبيهاتها تسقط علينا كالصاعقة وتقتل بداخلنا أى أمل فى النجاة ، كل يوم يُضيق الخناق وتزداد حدة تلك الكلاب الضالة المتسولة ، فلا تدرى فى أى وقت سينقضوا عليك ولا فى اى مكان ، تحسبهم كأشباح الموت ينقضون فى اى وقت وأى مكان بدون حتى اى مقدمات ، فى لحظة واحدة تصبح فى خبر كان ، لا يعلم عنك أحدٌ شيئاً ، ويصبح كل هَم أهلك أن يعرفوا مكانك أو يروا وجهك لمرة واحدة .

فلم يعد يفرق معهم أى شىء ، يكفى أنك تفهم قليلاً أو تحاول إعمال عقلك حتى تطولك أيديهم ، لم يصبح من المتوقع من اين ستأتيك الطعنة ، هل فى شارع فتحاول المكوث في البيت ، أو البيت فتغير مكان سكنك ام فى العمل فتتركه ، كل هذا خوفاً من أن يعضك كلب منهم فتظل عليلاً ربما أيام أو شهور او سنوات .

ولكنى حقاً أستغرب حال من يتحدث فى قضايا فرعية ويكثر الجدل والجدال فيها ويقتطع من وقته وجهده بل أحياناً يتفرغ فقط للحديث فى هذه القضايا ، قضايا فرعية جداً ، بل لن يضر تركها الآن فى شئ فهناك ما تُرك وهو أكثر أهمية ، فحقاً إن الشيطان إذا لم يجد سبيلاً على المؤمن يصرفه به إلى المعصية ، فيصرفه عن الحق بأن يشتغل بالفاضل عن المفضول .

أستغرب حقاً حال من يدخل فى جدالات لا طائل منها ، وصراعات وهمية ، ظاناً بذلك أنه حامى الحمى يذب عن الإسلام ويدفع عن أركانه ويطوف حول الحمى مانعاً كل من تسول له نفسه الإقتراب منها ، ولكن للأسف إنه فى حقيقة الأمر كالذي يحاول حماية سور جانبى فى حين أن البوابة الرئيسية قد انتهكت ووصل المعتدى إلى لب الحمى هاتكاً ستر ما بداخله ومغيراً الأصل وسافكاً دم كل من يحاول المنع ، ومدبراً المكائد بين سكانه .

ولكن الأعجب حين نقول ما فائدة حماية ذاك السور بعد أن سقطت القلعة ، فأنت إذن تستنذف نفسك وقواك ، رغم أن حمايته مهمة بالطبع ولكن ليس الأولى، وبحالتك هذه سيحاصرك العدو يوماً إلى أن يقضي عليك انت الآخر ، فالله الله فى إخوانك ، كن يد العون لهم بدلاً أن تكون مع جلادهم - وجلادك انت أيضا - عليهم .

فكلنا متفق على حمايته ولكن لنخرج المعتدى من أرضنا ونرد كل شيء لأصله ونعيد لكل صاحب حق حقه ونحقن دماء إخواننا ، ونكون كالبنيان المرصوص ثم نحمى كل هذا جملة واحدة ، خير من حماية وهمية وصراع مع من قدم نفسه وماله لحماية القلعة من السقوط .

للأسف من اشكاليات العصر ، نَسب كل فئة الوسطية إلى نفسها وقياس التشدد أو التفريط بالنسبة لها ، واعتبار أن فهمهم هو الأصوب والأرجح ، حتى أصبح لدينا محدثين بغير فقه يفتون الناس ببضع أحاديث يحفظونها ، وعلى الجانب الآخر لدينا مفرطون لا يعرفون من الدين إلا أنه يسر لا عسر ولكن دينكم وليا دين ، فتهون الشعائر فى أعينهم وتضيع الأركان من بين أيديهم دون أن ينكروا منكراً أو يأمروا بمعروف ، نسأل الله الهداية على الرشد وأن يجمع كلمة المسلمين على راية التوحيد .

فالبعض فى موقفه ممن خلط عملا صالحاً وآخر سيئا ، أو ممن أجتهد فأصاب أقل الضررين وأخف الشرين ، كموقفه مثلاً فى حالة أن رجلاً أغاث امرأة من أيدى اللصوص وسار معها حتى أمنها ورد لها متاعها .

فيأتون هم ليقولوا إنه آثم بفعله هذا كيف يسير معها لوحده ، كان من الأولى أن يتركها بعد أن أغاثها ، فدرء المفسدة خير من جلب المصلحة ، فإنه لا يأمن على نفسه الفتنة وفى زمان الفتن هذا ماذا لو وقع معها فى الزنا وماذا وماذا وماذا .

فيجحدون بذلك فضل الرجل وينكرون فعله ، بل ويحملونه أوزاراً وإن دافع عن نفسه فهو فى هذه الحالة إما ضال أو مبتدع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومنهم من جعل رأيه هو الصواب ولا أحد له الأحقية فى إبداء رأيه لأنه هو وحده أهل الاجتهاد والفتوى ، فمنذ متى وأصبح الرأي حكراً على أحد ، فالمجتهد إما صاحب أجر أو أجرين ، ولكن لأكن صادقا مع نفسى فلست أهلاً للاجتهاد ، لذلك أسأل الله أن يحفظ علىَّ لسانى وأن يجعله رافعا لى فى الجنان لا مكباً لى فى قاع النيران

فإن حين أتحدث أو أقول رأيى لا أتحدث فى قضايا تخص الشرع فلست أهلاً لهذا الباب ويجب أن لا يتحدث فيه إلا أهله أما العوام أمثالنا فلا .

إنما أتحدث فى فقه التعامل مع الشرع وإعطاء كل ذى قدر قدره فلا نضخم صغيرة ولا نجحد فضل ، ولا نقدم فاضل عن مفضول ولا نفصل جزء من الدين بعلة أنه ليس وقته أو أنه ليس مهماً والأهم هو تزكية النفوس وإصلاح القلوب ، أترى إن نظر أحدنا إلى خريطة مصر ووضع بداية فرعى نهر النيل من بداية أسوان وعظم فى ذلك هل تراه على صواب .

إن الجهل بأحكام الدين الكلية ومقاصد الشريعة كالجهل بجغرافيا المكان ، يقتطع أجزاء ويجهل وضعها فى نسق كلى يعطى الصورة الصحيحة .

والله أعلم

فمنذ سرت فى هذا الطريق وغايتى توحيد الأمة على راية ، كلما قرأت أو تفقهت ؛ تباينت الأفكار ووضحت الرؤية وزادت الوجهة وضوحاً ، وفى نفس الوقت أجد أحياناً من نفسى موقف الحائر التائه المتخبط بين مئات الأفكار والأطروحات وآلاف الطرق صالحها وطالحها .

أغلب الأحيان لا أشغل بالى بكل ما يدور بين الفرق المختلفة كل ما يهمنى أن يكون أهل سنة وجماعة ، أما الفروق الفرعية فلست أهلا للحديث فيها ولن تنفعنى لا فى دينى ولا دنياى إنما ستزيد الشبهات من حولى وتدخلنى فقط فى صراعات لا طائل منها ، فلست أهلا للرد أو الإقناع فلست عالماً بالشرع ولا فقيها محنكاً ، لا يضرنى فى حياتى واخرتى إن لم أعلم كيف استواء الله على العرش وهل القرآن مخلوق ام كلام الله وهل التجسيد من اصل العقيدة أم لا وهل أن لله يد كأيدينا أم أنه تشبيه لتقريب المعنى إلى عقولنا وغير هذا من القضايا التى لا أرى سوى العلماء أهلا للحديث فيها ، وبالمناسبة لن ينتهى الجدال فيها إلى قيام الساعة .

فهناك من يحاول حتى مصادرة الكلمة التى تخرجها لتهون بها عن نفسك ، يرون أن حياتك على الملأ رغم أن ما يظهر منها لا شيء ، وتيرة حياتك السريعة وانجازاتك المتتالية ومواقفك الكثيرة ومشاعرك الفياضة كل هذه الأشياء تدفعك أحياناً للحديث عن بعضها فيظنون أنك

تبرز حياتك وتظهرها على الملأ وتشاركها الجميع ، يظنون أن حياتك كحياتهم تسير بوتيرة متباطئة ، أحداثها واحده ومواقفها قليلة ومشتتاتها تكاد لا تذكر .

ها أنا الآن وسط النهر وحدى ، لأول مرة تراودنى فكرة إلقاء نفسى فى المياه لأنهى هذه الضوضاء فى رأسى ، فإن كنت أنا أفكر فى شىء كهذا فما بال الآخرين ، فبئس العبد أنا ، ولكن ماذا عسانا نفعل إن لم نجد من يفهمنا دون أن نتحدث ، ويخفف عنا دون أن نطلب .

أظن أننا نحتاج ما قاله معلم الناس الخير حين قال (أنت عايز حد تعيش معاه بشكل أقرب بكتير من علاقتك بأمك وأبوك واخواتك، دا احتياج نفسي فِطري اللي احنا بنسميه في الإسلام السَّكَن، حد تسكُن إليه).

وكما قيل أيضاً (وإن الغاية من الزواج هي الونس ، أن تجد قلبًا حانيًا وقويًا ، أن تعلم أن بجوارك أحد يساندك ! فكرة في حد ذاتها منصفة، فكرةٌ مقدسة للذات، ومعينة في السبل، ستجد أحدًا تشاركه الطعام، وتستأنس به في الحديث، عقلٌ جوار عقل، وقلبًا مربوطًا بقلب، يدًا تداوي وقلبٌ يحن، روحٌ تعين ونفسٌ تطمئن، شخصٌ يهون وآخر مؤمنٌ بأنه مهم.. هذا هو الزواج ونسًا وأنيسًا ومأنوسًا به.. حبًا وقوة ورباطًا ويقينًا وإيمانًا بروحٍ استعانت بك.□) - سمية الشيخ

أظن أنى علمت الآن ما ينقصنى ،ولكن أيضاً ينقصنى المؤنة وينقصنى أيضاً إختيار الزوجة ، فإنى لم استقر بعد على قرار واحد ، لأنه للأسف يخالف المنطق .

فها أنا اليوم قابلتها من جديد ، للأسف لا أعلم سبباً لذلك الخفقان فى قلبى حين رؤيتها ، تخطفنى بسمتها الحيية ، ونظراتها الخجولة ، مضى حوالى سبع سنوات على أول مرة فكرت فيها كواحدة يمكن التقدم لها والزواج منها ، مرت تلك السنوات ولم يقتنع العقل بعد أو ما زال حالماً وراء أحلام وصفات لا تمت للواقع بصلة ، فهذه فيها من كل الصفات الجميلة ومن كل ما أرغب فيه ولكن وبكل أسف ليس بالقدر الذى أطمح إليه ، أحياناً أقول ربما ميل قلبى لها سيجبر كل ذلك وحبها الدفين لى - كما أظن - سيكمل كل هذا النقص ، فهى فرصة الكل يتمناها ، ولكن يقف العقل من جديد حاجزاً بين ما يميل إليه قلبى وبين ما يتمناه هو حتى وإن كانت أحلاماً وردية لا علاقة بينها وبين المنطق ، يصبرنى بإمكانية الحصول على أفضل ، ولكن لكل شىء ثمن وضريبة .

بل حتى قمرى الذى أنتظره ، بكل حسابات المنطق أنا أعيش في وهم من صنع مخيلتى ، فماذا يعنى الإعجاب بشخص لم تقابله ولم تتحدث معه ولم ترى سلوكه وطبعه ولم ولم ولم ، ولكن لا أدرى حقيقة ، ملعونة تلك الحيرة التى تتملكنى فى كل قرار .

أحياناً أجلس مع ناصحين ، فمن باب التهوين يقولون وماذا لو أخذت قراراً خطأ أو حتى غير ما تطمح إليه ،ألن تكمل حياتك وتسير أمورك ؟! ، بلى ستمضي الحياة رغم أنوفنا ولكن زواج بحسن إختيار وتسديد ومقاربة خير من غيره حتى وإن كان رزقاً لا يعلمه إلا الله ، وكذلك العمل وكذلك الدراسة .... إلخ ، ستمضي الحياة بلا شك ، ولكن أن تعيش مستمتعاً بما تصنع ومع من تسير فى دروب الحياة الشاقة ، خير من أن تزيد كدرها وتعكر صفو حياتها أكثر باختياراتك الرعناء .

فلا الليل يخفى ولا الظلام يدارى ، فداخلنا يحترق من الأشواقِ ، فما الليل ولا السماء بما تحوى ، قادرة على أن تخفى لهيب الأشواقِ ، وجل ما فينا وإن عظم - بلا شك هو من صراع الاخلاقِ ، فيض بداخلنا من الأحزان ، وهالة علينا من رضا الرحمان ، نمضى فى الحياة بكل جد ، وننسى ما لنا من الوجدان ، نصارع ونقاسى فى كل درب وتوفيقنا وفلاحنا من المنانِ .

لا أنكر أنى هذه الفترة صرت أكثر تحكماً فى نفسى وهواها ، ولكن طالما التفكير قائم لا محالة فسينصرف إلى أشياء أخرى ، وأظن انى لا أشغل نفسى إلا بالواقع ولكنى أخاف أن انغمس فيه .

فالأحداث المحيطة ساخنة جداً ، فلسطين من جهة ، وأفغانستان من جهة أخرى ، أما عن فلسطين وما يحدث فيها ، وما يحققه ثلة مؤمنة باعوا أنفسهم وأموالهم واشتروا بهما رضوان الله والجنة ، أن تسمع قصة تكاد تكون شبه خيالية ، تخيل أن ستة أشخاص حفروا نفقاً من زنزانتهم إلى خارج السجن بملعقة ، كيف لهذا أن يحدث وهناك أطنان الكتل الخرسانية وتضيقات أمنية وحراسة دورية ، أظن أنه إيمانهم وحده هو ما أعانهم على ذلك ، فلو أرادوا تحريك الجبل من مكانه لفعلوا ، ولكن فى كل هذه الأحداث المتلاحقة لم يستوقفنى إلا كلمة واحدة ألا وهى #حرب_الإرادات .

فهؤلاء القوم قد سُلبوا حريتهم وانقضت أعمارهم بين قضبان الزنازين ومع ذلك لم تفتر عزائمهم ولم تلن إرادتهم ، إنما خططوا وقاوموا وبذلوا فلم يكن هناك شيء يمكن خسارته أكثر مما خسروه ولم تكن أرواحهم المشتاقة للحرية ترفض فكرة المجازفة بالروح تحت طبقات الأرض ، فهى والله إما نصر أو شهادة ، لم ولن تكون خياراً ثالثاً .

حفظ الله المناضلين عن شرف أمة المليار ونصف المليار ، ولا يسعني سوى قول النبى (كغثاء السيل) ، فاللهم إن ما يُفعل فى هؤلاء الأبطال منكر لا يرضينا ولا يرضيك ، وإنا نبرأ إليك من حولنا وقوتنا إلى حولك وقوتك .

وأما عن أفغانستان وما يصنعه ثلة مؤمنة ، ظلوا يقاتلون أوباش الأرض جميعاً وفجارها وظالميها عشرات السنين ، ومع ذلك لم يتخلوا يوما عن حلم إقامة ولاية إسلامية يحكم فيها شرع الله ، فتخيل فى بضع ايام فقط تمكن هؤلاء القوم من السيطرة على حكم البلاد مترامية الأطراف ، رغم ما خلفه الأمريكان ورائهم من جنود مرتزقة من أصحاب الأرض وأسلحة من أموال الشعب ليقتل بعضه بعضاً ، ولكنى كنت وما زلت متخوف من النقلة النوعية فى فكر طالبان وتحولها من الجهاد للحكم لأن هناك مسافة واسعة جداً بينهم ، وللأسف فشل الجماعات ذات الطابع الحركى فى إدارة أغلب البلاد التى تمكنوا من الحكم فيها يجعلنى متخوف من فشل الجماعات الجهادية .

ولكن أسأل الله لهم التوفيق والسداد والثبات

ولكن أذهلني اليوم موقف من نفسى ، لم أكن أتخيل يوماً أن أكون بهذه السلبية ، ربما ليست بسلبية بقدر ما كانت سخرية أو استهزاءً مما يحيط بى ، ربما استهوان ما يحيط بى مقارنة بما هان على هذا الشعب ، فلم أعد أشغل بالى ، إن كانوا يقولون عش كما يعيش الناس فى أمور الدم والحكم والدين ، فهل يعقل أن أصبح صوتهم فى بضع دقائق يتأخرونها بسبب تأخر موظف ، رغم أنى لا أستطيع السكوت عن الحق ولكن ردة فعلى تجاه حقوق هذا الشعب أصبحت باردة جداً ،

وخاصة بعد أن فرط هو فى واجباته وحقوقه ، وجعل من هم من جلدته فريسة سهلة للظالمين ولأعداء الدين .

وبات يذهلنى أكثر شخصيتى ، فإنى وبكل بساطة لا أجيد خلق الأحاديث حتى مع الأقربين ، أميل إلى السكوت أو ربما أحياناً إلى الاستماع ، لا يستهوينى الحديث وإبراز نفسى وسط الجمع إلا إذا دعت الحاجة ، ربما كل هذا بسبب أنى لا استطيع أن أتمالك نفسى إذا تحدثت ، فتجدنى أقول الحق أقول الصدق حتى ولو على نفسى ، بل حتى ربما دون أن اراعى مشاعر أحد أحياناً .

فى كل مرة أقرر فيها الاختلاط بالمجتمع والانخراط فيه وإطلاق بصرى يمنة ويسرة واستكشاف ما حولى من أماكن وأشخاص وأفعال ، فى كل مرة أتفاجئ من هول ما أرى ، فى كل مرة أكاد أبكى حزننا وكمدا على وصل إليه حالنا ، فى كل مرة .

فاليوم ازدت علما لماذا أجر الواحد منا بأجر خمسين من الصحابة ، فأنت تقريباً لا يكاد يمر عليك دقيقة إلا ويُعرض عليك عشرات بل مئات الفتن والشهوات والشبهات ، الهاتف التلفاز الطريق العمل الدراسة الانترنت ، بل إن شئت قل والمسجد أيضاً ، فحتى المسجد لم يعد يخلو من شبيهات الفتن والشبهات وإنها لأعظم وقعا وأثراً من تلك التي نقابلها فى ساحات الفتن التى لا ندخلها وإن دخلنها ندخلها متحصنين .

لذلك كله لا ألتجئ إلا لرب العالمين ، فكأن تلك الأنفاس التى تخرج من صدرى ومعها زفرات ومرددة آمين ، ما هى إلا حاملات للهموم من على أكتافى ، ومخرجات للضيق من أكنافى ومسافرات بأمانىَّ وأحلامى إلى رب السماوات .

تخرج وهى تهز صدرى هزاً ، تهون علينا ما تلقاه فى حياتنا ، وتثبتنا ما كثر الخبث من حولنا ، فكأنها حبل الوصل بين العبد وربه ،

وطالما أن هذا الحبل متصل فلا خوف ولا هم ولا حزن ولا ضياع بإذن الله .

ففى دنيا الناس أصبحت الحياة ذات قيمة عالية ، وأصبحت الآخرة آخر الأشياء فى الحسبان ، أصبحت الحياة بأيامها القليلة هى محور التفكير ومداره ، وأصبح ما يتعلق بدار البقاء والحياة الأبدية مجرد كلام لبيان حكمة صاحبه دون تمثله حتى فى أفعاله ، ترى فى دنيا الناس من يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل ، وترى من يبيع آخرته بدنيا غيره ، ترانا جميعاً نتهافت على محطات حياتية جاعلين كل التفكير فيها ومتكالبين للحصول عليها جميعنا بلا استثناء ، مع تغير المحطات وأهميتها لدى كل منا .

فى دنيا الناس وواقعهم كثر المتشدقون بعبارات لا يفهمون معناها وكثر المنادون بأفكار لا يعرفون منها إلا لَبسة صاحبها ومظهره ، ترى ذلك فى كلا الطرفين .

أصبح أهل الحق فى جهل مدقع ، لا يعلمون قيمة الحق فى أيديهم وإن علموا خافوا العمل وإن عملوا ظلوا فى ترقب للنتائج فإن لم تكن على هواهم انتكسوا وظنوا أن العيب فى الحق الذى معهم لا فيهم ، أما عن أدوات أهل الباطل فى بلادنا من بنى جلدتنا وديننا لا يعرفون من الباطل إلا شعارات ومن ثقافة الغالب إلا ما يوافق هواهم وفى أفضل الأحوال لا يعرفون عن هويتهم وأمتهم وثقافتهم إلا شعارات قومية أو حزبية أو فئوية لا تعين على تقدم ولا تؤدى بأى حال من الأحوال إلى ازدهار .

****

أعمارنا أيامنا أم آلامنا

يساورنى كثيراً إحساس أنى أتخطى جيلى بسنوات وسنوات ، أشعر أنى أصبحت رجلاً عجوزاً مقارنة بأقرانى فى السن ، ولكن يقف حاجز الحياة التى لا يعترف إلا بالأيام ومرورها ، رغم ذلك أقف فى وسط من هم أكبر أو أصغر ممن مارسوا العمل وانخرطوا فى الحياة ، أجدني صفر اليدين من كل شيء .

فهيا لأخبرك قليلاً عن فترة العشرينات ، حيث الشعور بالضياع والإحساس بفقدان البوصلة والوجهة بل والقيمة ، فترة التشتت والبحث عن الذات ، وأسوء مرحلة فيها هى ما بعد التخرج ، فتجد نفسك فى عراء الحياة ، الكل يقدم لك يد المساعدة ولكن كل هذه الايادى لا تصل إليك لتنتشلك مما انت فيه ، تبقى انت وحدك تصارع ، وحدك وفقط ، فكل صراعاتك الداخلية لن يقدرها أحد لذلك لا تخرجها ، دعها بداخلك وصارع وحدك لتحقيقها ولا تستعن سوى بربك .

كنت اليوم حائراً كعادتى أفكر فى أصل الأشياء وحقيقتها والسبب وراء حدوثها وكيفية التحكم فى سيرها ، فإذ بى وأنا أقرأ الكهف تتضح أمامى قصة نبى مع الخضر ، وجدت أن ما أنا فيه هو طبيعة بشرية وأن منكرها إما جاهل أو صاحب هوى ، وأيضا المستمر فى محاولة معرفة أسرار الله فى تقديراته وقضاءه شخص واهم لن يصل لشئ إلا بإذن الله حتى ولو كان نبى .

فرغم قول الخضر لنبى الله موسى (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) إلا أن موسى عليه السلام ظل يجادل ويكابر متناسى طبيعته البشرية ، حتى ذل وسقط مرة فذكره الخضر مرة أخرى قائلا (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ومع كل هذا إلا أن موسى ظل يعاند متعللاً بالنسيان تارة ومترجيا الخضر تارة أخرى قائلاً (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) ، حتى وصل معه الخضر إلى قوله (قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) .

فمهما كان القدر ومهما كانت العلة من وراءه سواء كانت خفية أو ستظهر بعد فترة قصيرة أو بعد مدة من الزمن ، إلا أن طبيعة الإنسان عدم فهم أقدار الله وما ذلك إلا بسبب عقلنا القاصر وفكرنا العقيم مقارنة بتدبير الله وحكمته ، ولن نخرج من هذه الحالة وهى التخبط والتيه إلا بعد التسليم التام لأقدار الله واليقين التام أن الله لا يكتب لنا إلا الخير ، وأن كل أمر باطنه الخير بلا شك حتى ولو كان ظاهره شراً محضاً وأن تدبير الله وحكمته أفضل من اى تصور لنا نحن البشر .

ولكنى أظن أن المشكلة الكبرى هى عدم رضاك ، إحساس أنك تستحق أكثر ، استعجالك الرزق ، ومحاولة تغير حالك وحالتك لما هو أفضل ، رغم أن كل ما أنت فيه هو كرم من الله عليك ، فلو الأمر بما تستحق لم تكن حققت أى شىء ، ولكن يبقى التشتت هو سبب ما أنت فيه الآن .

فمنذ فترة وانا لم أتعاهد أهدافى وترتيبها من جديد والنظر إلى ما تحقق منها وما لم يتحقق وإلى الذى فى حاجة إلى التعديل وما فى حاجة إلى الترك نهائيا وما فى حاجة إلى وضع تصور آخر له .

مرت هذه الفترة دون أن أقف مع نفسى وقفة حكيمة يخرج عنها خطة ورؤية ، إنما كانت كل وقفاتى وقفات تشتت ولوم وصراع ، كل هذه المدة الماضية لم أضع خطة واحدة إنما أتركها هكذا تسير كما تشاء دون توجيه مع بذل المستطاع .

بل العجيب أنى حاولت اليوم أن أجلس مع نفسى جلسة تفكر وتدبر أنتهى بها إلى غاياتى وأهدافى الجديدة إلا أنى لم أستطع حتى كتابة الأهداف الروحانية التى تربطنى بربى وعجزت كل العجز عن كتابة هدف واحد من الأهداف الشخصية فما بالك بالاهداف الأسرية والاجتماعية والمهنية والمادية والعلمية ، وقفت معنى نفسى وقفة الحائر متعجباً من نفسى وسائلاً هل هذا أنا؟! ، ألم تكن واضح الرؤية والهدف من قبل فما بالك أصبحت الرؤية ضبابية أمامك بهذه الصورة ، أصبحت الحياة أمامك مبهمة فالأهداف العظيمة تحتاج إلى عظيم يحملها وواقع يساعد على تحقيقها ، أما أنا فلا عظمة فى شخصى ولا واقع يلبى أى شىء مما أرغب فيه ، فاللهم .

كنت استغرب جداً قول أحدهم (أنت مفتاح حياتك فى ركعتين) ، ولكن حينما يصبح ذلك واقعاً لابد أن تصدق ذلك ، فبعد أن بذلت كل استطاعتى وسلكت كل السبل الممكنة قمت فصليت فى منتصف الليل تقريباً ، ركعتين بنية قضاء الحاجة ، ولكن الفارق أنى كنت على يقين أن الله سيكرمنى ويمن علىَّ من فضله وواسع كرمه ، كيف ومتى لا أدرى ولكنى صليت ودعوت بيقين ، يقين صادق .

استيقظت صباح اليوم التالى ومضى اليوم كأى يوم ، رغم سوء نفسيتى إلا أنى جاهدت لقراءة ورد القرآن ، وبمجرد أن انتهيت وجدت هاتفى يرن ، **رقم غريب ولكنى ميزت الصوت وعرفت صاحبه :**

- السلام عليكم
- عليكم السلام ورحمة الله
- ازيك يا باشمهندس أخبار حضرتك
- الحمد لله يا هندسة طمنى عليك
- نتقلب فى نعم الكريم الحمد لله
- الحمد لله بقولك يا هندسة انت متاح تشتغل فى مصنع استانلس ستيل ، هو مش مصنع كبير بس كويس يعنى
- مفيش مشكلة خالص يا باشمهندس ، كبداية عادى
- تمام هبعتلك الموقع ورقم المهندس وعندك مقابلة بكرة الساعة ١١ تمام يا باشمهندس ، شاكرين أفضالك وتكرمك علينا

ولكن العجيب قبل إنتهاء المكالمة وجدت رقما آخر يرن ، أنهيت المكالمة فوجدته يرن مرة أخرى ، فتحت عليه :

- السلام عليكم ، الباشمهندس فلان الفلاني
- اه حضرتك تفضل
- حضرتك كنت مقدم على تدريب شركة شاكر للمقاولات
- آه حضرتك تفضل
- ممكن آخد من حضرتك شوية معلومات
- تمام حضرتك.
- جهز نفسك عشان ممكن يكون فيه مقابلة قريب
- تمام حضرتك شكراً

سبحان الله حقاً ، كأن الخير يأتي دفعة واحدة ، ولكن العجيب أن الحيرة لا تفارقنى ، مكالمتين فى نفس الوقت ، مجالين مختلفين تماما ، أحدهما الأقرب إلى شغفى ولكن ليس المكان الذى أطمح إليه ، والآخر مكتب استشاري من أكبر مكاتب الجمهورية ، ولكنى لا أميل لمجال المقاولات فى الأساس .

حيرة لا تنقضى ، لا أعلم أى الفرص هى الخير وأيها يجب أن تقتنص اقتناصاً ، تأتى الفرص واحدة تلو الأخرى ، أحدها ميزتها فى المال والأخرى المكانة وثالثة الشغف ورابعة الخطوة الأولى ....الخ ، كل فرصة تتزين لك ، ويرى من حولك أنك تضيع الفرص من يدك ، لا أحد منهم يفهم ما بداخلك ولا ما يدور فى رأسك من صراعات .

لذلك لا أحب أن أقص اى شيء يخصنى على أحد إلا بعد أن يتم وأعلم إختيار الله لى ، أو أقص على من سيفهمنى وأجد عنده حلاً ممكناً وهم قلة حتى وإن كثر المحبون والناصحون حولك .

يقلقنى فوات الفرص واحدة تلو الأخرى ، أعلم أن الله يُهيئ لى الأسباب ، وأن فرجاً قريباً آتٍ لا محالة ، ولكن المقلق هذه المرة أنى لا أبذل المستطاع ، أعلم أسباب الرفض ولا أعمل على إزالتها وأعلم أسباب القبول ولا أسعى لتنميتها .

الفرصة هذه المرة عظيمة جداً ، ولكن لا أعلم لما هذا التكاسل ، ربما لأنه لم يعد هناك أى قابلية للتعلم ، ربما ولكن ليس هذا بصحيح فلقد تعلمت شيئا جديداً من أيام ولكنه للأسف كان بعد ضياع الفرصة الخاصة به ، أو ربما لعدم تيسير السبل وبعض المعوقات التي لابد أن أعمل رغماً عنها .

أحياناً يكمن حل مشكلتك النفسية فى أن تتكلم مع شخص يفهمك مع شخص يقدر ما أنت فيه ولن يستهون أبدا بما تقول ، شخص يخبرك بأنك تقدر ، وأنك أكثر الأشخاص استحقاقاً لما تسعى إليه .

أعلم الآن كم الضغط النفسي والتوتر والتفكير فى إتخاذ قرار لا يتفق مع المنطق ، ففرصة كالتى ضيعتها اليوم لا تنم سوى عن أنى مختل عقلى ، فمن يضيع فرصة الإنضمام لأكبر مجموعة استشارية على مستوى الجمهورية بل فى الشرق الأوسط وأفريقيا ككل ، أن يتم تصفيتك من وسط المئات إن لم يكن الآلاف لتحديد مقابلة معك يتم على أساسها القبول والرفض النهائي ، فرغم أنى لله الفضل والمنة أعلم أن نسبة قبولى كبيرة إلى حد ما إلا أنى لم أذهب ، فرصة لا تعوض من حيث المعرفة والمكانة الاجتماعية والراتب .....الخ ، ومع ذلك لم أكن شغوفاً بها .

أظن أن ميزة سؤالك نفسك قبل الالتحاق بالجامعة او حتى الثانوية وهو لماذا ، ينير أمامك طرقاً فى محطات فارقة فى حياتك ، بفضل الله وكرمه لم أنوى فعل شئ أو أقدم على خطوة إلا وكانت كل الخيارات متاحة أمامى لله الفضل والمنة ، ربما هذا بسبب اجتهادى وسعىّ الدؤوب بعد توفيق الله وكرمه سبحانه ، فمثلاً بعد الشهادة الإعدادية متاح لى تمريض والثانوية العامة والدبلومات بكافة أنواعها ، كنت محتاراً حقا حينها ، فزملائك من الأولاد جميعهم لم يلتحق أى منهم بالثانوية فأصبحت أنا الولد الوحيد فى وسط ثلاثة عشر فتاة من قريتى ، ثم فى الثانوية بين ضغط العائلة لدخول علمى علوم وبين حبى وشغفى ودخولى علمى رياضة ، ثم الالتحاق بكلية الهندسة لا غيرها ، ربما كان هذا أسهل قرار فى حياتى بعد أصعب سنة ، ثم إختيار القسم ، أختار ميكانيكا رغم أن مجموعى يمكننى من دخول أى قسم آخر ، والعائلة تنصحنى بمدنى والأصدقاء بعدم دخول ميكانيكا ،

ولكن اخترته فى النهاية متبعاً لشغفى ، ثم التخصص بداخله ثم مشروع التخرج ، وها أنا الآن أحاول السير وراء شغفى ، أعلم أنه صعب المنال ، بل أحيانا أقف حائراً لا أعلم ماذا أريد أن أحقق ، ربما صعوبة الأمر فى إتاحة أغلب الفرص أمامى ، تقديري إلى حد ما جيد فيتيح لى كل الفرص. المعتمدة على التقدير ، وسي فى إلى حد ما محترم ومهاراة وصفات شخصية إلى حد ما جيدة ، ومعارف وعلاقات أظنها ناصحة لى ومرشدة ، ثم لا تنسى بذلى المستطاع وتوفيق الله لى ، كل هذا يجعلك محتارا مشتتا فلا أعلم هل هذه نعمة أم نقمة ، فلو انحصر الواحد منا أمام خيارا واحداً لكان سيريح عقله من التفكير والموازنة والتسديد والمقاربة ، ولكن هذه هى سنة الحياة وضريبة محاولة الفوز فى الدنيا والآخرة .

ولكن إياك أن يدفعك بريق الفرص ولمعان الاختيارات إلى أن تسير فى غير طريق ما تطمح إليه ، فسؤال لماذا .

يجزم القرار فى أغلب المحطات الرئيسية

فإياك أن تنسى السبب وراء كل خطوة تخطوها

ولكن إياك أن تنسى وانت تسعى وراء حلمك أنك فى مصر ، حيث لا حلم ولا طموح ، فملعونة بلادى فى كل أذان ، ملعونة إلى أن تقوم الساعة ، ملعونة إلى أن تتبدل الأكوان وتفنى العوالم ، ملعونة وملعون كل ما فيها ، فكما قال الشاعر (ما شوفت فيكِ ترف ، كل اللى فيكِ قرف) ، أنظمة عقيمة مخرجاتها إنسان بلا قيمة ، وأنظمة اجتماعية تضيف هالة من اللاشئ حول كل متميز فى القطيع ، يسير القطيع فى المرعى تحده الكلاب من كل إتجاه ، المتميز فيه لا من يرى أفضل المراعى ويسير إليها أو من يأكل ما يرغب وقتما يشاء أو حتى يتحرك بحريته وقتما شاء وكيفما شاء ، لا بل أفضلهم من يأكل من حيث أمره الراعى دون شرود أو تمرد ، فيتصارع القطيع على أشياء لا قيمة لها فى الأساس .

أسمونا كليات القمة ووضعوا هالة حول المهندس والطبيب ، ثم ماذا ، فى بلادى تكتسب اللقب لا المهنة ، ثم ماذا ، فى بلادى لا علاقة بما يتطلبه العمل وبين المخرج النهائي من الكلية ، هناك فجوة واسعة جداً تحتاج سنوات وسنوات كى تلتئم ، ثم ماذا ، تخرج إلى الحياة بعد التخرج بلقب مهندس حديث التخرج ، فكأنك معاق أو بك مرض عضال أو ربما هذا اللقب مرض معدى ، فكل أغلب فرص العمل إن لم يكن جلها تشترط الخبرة ، ومن أين لنا بالخبرة دون أن نعمل .

حتى وإن امتلكت الخبرة ينقص الواسطة وإن امتلكتهما معاً ينقصك الحسب والنسب . وإن امتلكتهم جميعاً ينقص المال والمكانة الاجتماعية ، فكأنك تتقدم لعروس لا لوظيفة ، فبعض الشركات أو لنقل أغلب الشركات ذات القيمة لا تقبل إلا من له من جميع ما ذكرت نصيب ليس بالقليل .

ثم ماذا ، ثم تظل تبحث عن عمل ، وهذا يقول لك غداً وآخر يخبرك بأن عليك السعى وآخر يقول لك لا تقلق ستنتظر شهر أو ربما شهرين أو ثلاثة أو ربما أكثر .

ثم ماذا ، لا أدرى ، فهذه البلد لا شىء فيها يأتى هيناً ليناً ، لابد أن تنتظر قليلاً وتصبر كثيراً ، كثيراً جداً ربما إلى ما لا نهاية كى تحصل على ما تريد وربما تموت قبل أن تبلغه .

تظل فى دوامة من السعى ، حتى وإن سرت فى طريق غير ما تريد يسمونه سعياً أيضًا ، فها أنا فى القاهرة من جديد ، ساعياً لمقابلة أحدهم لعلنى أجد فرصة مناسبة معه ، ولكن تمر الأيام دون جدوى ، أما الآن تخنقنى عبرات محبوسة ، أريد إخراجها اريد البكاء الآن لعل هذه الدمعات تطفئ النار المتأججة فى داخلى ، ولكن لا استطيع الآن ، فها أنا الآن مستلقى على سرير من طابقين فى غرفة ضيقة جداً كل من معى يتحدثون الآن بكلمات إباحية وحركات جنسية بحتة وألفاظ خادشة للحياء ولدين المرئ ، أشعر أنى لا أنتمى لهذا المكان إطلاقاً ولكن ماذا عساى أن أفعل ، يُقال علينا السعى والبذل ولكن رغم هذا أشعر أنى فى الطريق الخاطئ ،فما علاقة ما أنا فيه الآن بطريقى المرسوم فى مخيلتى

أحياناً كثيرة أرغب فى الاستسلام لما يحيط بى من ظروف وأقدار وضغوطات وبيئة حاكمة لى ، أشعر كثيراً أنى لم أعد أستطيع المضى قدماً ، أحياناً أقول لنفسى فلتقبل اى فرصة أمامك ، فعلى سبيل المثال يُعرض علىَّ الآن أن أدير محلاً ، من حيث العائد المادي سيكون مجزى جداً ، ولكنى لم أُخلق لهذا ، أعلم أنها فرصة يتمناها كل من فى عمرى ، ولكنى لم أقضى خمس سنوات لهذا ولم انتظر أربع وعشرين سنة لتكون هذه هى نهاية المطاف ، فالصبر الصبر ، هذا ما كان يتردد في ذهنى في تلك الأيام ، الى ان رزقنى الله ما انا عليه الان .

****

منتصف العشرينات حيث التشتت والضياع

ها نحن هنا فى نهاية العام الخامس والعشرين ، منتصف العشرينات حيث الإحساس الدائم بالتشتت والضياع ، لا أنت فى بداية الطريق فتصبر نفسك ولا أنت في نهايته فتجنى ثمرة عمرك وتتيقن من صحة طريقك أو خطئه ، أنت في منتصف الطريق تماما ، لا تدرى هل عليك الاكمال ام الرجوع ، وإن أكملت فما زال يقابلك كل حين مفترق طرق جديد يجعلك تصرخ من الألم الناتج عن كثرة التفكير.

بين الرغبة فى العطاء وحتمية التحصيل ، يقع جل من في هذه المرحلة العمرية ، شعورك أنك أصبحت ذا قيمة ، وأنه حان دورك لتعطى ولتتجنى نتيجة عطائك هذا ، وإحساسك اللامتناهي بالمسؤولية التي على كاهلك ، والرغبة في المزيد والمزيد ، ثم بعد كل هذا اصطدامك بواقع مرير ، في ثناياه ضعف الإمكانيات وقلة الزاد ووحشة الطريق وندرة الرفيق ، لا يدفعك كل هذا إلا إلى صراع يحمل في طياته جلد الذات على التقصير ، في حين أنك لا تعلم طريقاً للسعى ولو علمت لن تجد الهادي والمعين وإن وجدت لن تجد الطاقة التى تبلغك ما تريد .

انت تحتاج فى كل مرة لإعادة شحن وتفريغ ، يجب أن تنزل ما على كاهلك جملة وتفصيلا ، يجب أن تزيل كل الهموم التي تشغل تفكيرك ، يجب أن تصفى ذهنك وتطهر قلبك من درن الحياة وقذارة الدنيا ، ثم بعد هذا يجب أن تشحن كل فترة لتعوض الطاقة المستهلكة في مهاترات الحياة ، يجب أن تكون اقوى نفسياً لتواجه تحديات الحياة اليومية وتكون عندك المرونة التي تتقبل بها صدمات الحياة دون أن تنكسر أو تضعف ، إنك فى حاجة لأن تكون متصل مع خالق يمدك باليقين والعزيمة والإيمان والإرادة والإصرار ، وإلا لن تكون سوى شخص يسقط أكثر مما يقوم ، ويتقهقر أكثر مما يتقدم ، وفى هذه الحالة ستموت ندما على فوات عمرك فى اللاشئ .

أظن أصعب مشكلة تقابلنا نحن الشباب وخاصة المتعلم وخاصة حديثى التخرج ، أننا لا نعطى أنفسنا قدرها ولا نقدر مهاراتنا بالقدر الذى تستحقه ولا نستغل امكانياتنا بالشكل الأمثل ، نظل فى مرحلة بين الرغبة فى العطاء مع الإحساس بضرورة إستكمال السعى فى التعلم ، والأصعب أن تقع بين فكى التأجيل وبين إنتظار المقابل المادى ، فيضيع عمرك هباءً منثورا بغير هدف حققته ولا غاية وصلت لها ، وتظل تدور حول نفسك فى ظلمات بعضها فوق بعض بغير قرار تأخذه ولا طريق تسلكه ولا حتى رأى تميل إليه وتنفذه ، انت فى التيه بل التيه هو ما بداخلك.

فها أنا أسير وحدى كعادتي فى هذا الليل المظلم ، لا أدرى هل الظلام يحيط بى ، أم أن الظلام بداخلى فظهر أثره على ما حولى ، أناجى الله بأنى تعبت يا رباه ، ولكن من ماذا يمكن أن يكون التعب ، حياتك أم موتك ، بقاءك أم فناءك ، اجتماعك أم افتراقك ، تآلفك أم انعزالك ، طموحاتك وآمالك ام واقعك وحياتك ، تطلعاتك وخططك أم تحدياتك الحالية والمستقبلية ، .....الخ .

أظن أقسى ما يمر على المرء أن يقف مكتوف الأيدى ، لا يدرى ما الذى عليه فعله كي يبلغ ما يريد ، وإن علم ذلك أظن أنه لن يحالفه الحظ بكل تأكيد كى تسير الأمور كما يرى ، أظن الحياة قاسية ، وأقسى ما فيها أن تعيش وحدك فى سجن أفكارك ، بل والأقسى أن تظل تقاتل أعداء وهميين كانوا من المفترض أن يكونوا خير سند ومعين.

أشعر بضيق فى صدرى ، وشتات فى فكرى ، وحيرة تملأ كيانى ، لا أدرى ما السبب ولا كيف الخلاص ، أشعر بانتكاسة ، أشعر أنى على حافة الهاوية من جديد ، أشعر أن الدوامة التى بالكاد خرجت منها منهك القوى والتفكير باتت تسحبنى من جديد ، أشعر أن الألم الذي كان يخالج صدرى عائد وبقوة ، صمت يخيم علىَّ ، وملامحى ثابتة لا حراك فيها ، وعقلى أحاول جاهداً أن أوقفه عن التفكير كى لا يدخلنى فى دروب الحيرة ومتاهاتها من جديد.

وا أسفاه على نفسى ، أشعر أنى شخصاً آخر غير الذي أعرفه ، لم أكن يوماً بهذا الأسلوب ولا العقلية ، كنت كلما أصابنى هم أو كرب أو ضيق أو حيرة أو تشتت - وكثيراً ما أصابنى - ، كنت أفر إلى الله ، كان قيام الليل جزءً لا يتجزأ من حياتى والفجر ركن أساسي فيه ، كان وجود الله يشغل حيزاً كبيراً فى تفكيرى ، كان الالتجاء إلى خالق عظيم حكيم يدبر الأمر هو الحل.

أما الآن ، فوا أسفاه أخرى على نفسى ، أصبحت أهرب من كل شىء فى حياتى إلى النوم ، حتى التفكير أصبح له حد معين لا يهدى لأى شىء ثم بعده أخلد مباشرة إلى النوم ، أتدرى معنى أن ينام شاب فى عمر الخامسة والعشرين اثنتا عشرة ساعة؟! ، أتدرى معنى أن يضيع نصف عمره فى النوم ويضيع النصف الآخر فى مهاترات الحياة التى لا تدفعه إلا لمزيد من النوم ؟! ، أشعر الآن أن علاقتى بخالقى خافتة ، لا أقول لم يعد للسنن تلك الأهمية التى كانت تحتلها فى يومى ، بل أقول لم تعد الفروض حتى تحتل ذاك الركن الأساسي فى حياتى.

ماذا أقول يا رباه بعد كل هذا التقصير ، لا عجب أن النبى نفسه كان يستعيذ من الهم والعجز فهما من المهلكات حقاً ، رغم اعترافى بكونى بشرى يصيب ويخطئ ، إنسان يخاف ويهتم ويغتم ، عبد يذنب ويقصر ، إلا أن هذا كله لا يغفر لى تقصيرى وتضيعى لحق ربى ، حتى الدمع الذى يوشك أن ينهمر لن يطفئ لهيب النار المشتعلة فى صدرى ،كل هذا لن يجعلنى أكف عن ترديد من أنا ؟ !، أين أنا الذى أعرفه؟. !

فقط ما يسعنى الآن فعله هو ركعتين فى جوف الليل مردداً فيهم (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) ، ومستعيناً به ليهدأ قلبى من روعه ، ويهدأ فؤادى مما أصابه ، وداعياً بالخير أينما كان ووقتما كان فى اى شئ فى حياتى ثم يرضينى به ، فأنت لا تعلم إلى أين المصير ولا متى التقدير ، فاللهم اكتب لنا الخير حيث كان ثم ارضنا به .

فلربما كثرة تجارب الحياة مع كثرة صدماتها ، تعطى الإنسان منا شعوراً خاصاً ، لا أعلم هل أسميه تبلداً ، أم أسميه خبرة وتجلداً وصبراً ، هل فيها ازدياد معرفة ومعرفة لقيمة الأشياء الحقيقة فيهون وقعها علينا ، أم أن هوانها من تكرارها بنفس الصورة والكيفية.
فحقاً تُرى كيف يمكن للواحد أن يصبح شخصاً آخر غير الذى يعرفه ؟! ، بل والأدهى والأمر أن تصبح نسخة أكثر ضعفاً بعد أن تصبح أكثر قوة ، أظن أن فى الإجتماع ببعض الأشخاص يكون القوة وفى الافتراق عنهم ولو للحظات يكون الضعف والخور ، أظن الأمر لا يتعلق بالجسد وما يتعلق به من ضعف وقوة ماديتين ، إنما الأمر فى

تآلف الأرواح حيث تقوى وتصبح أكثر همة وعزيمة حين تشعر بقرب نفس من تألف كأنه وقودها ومفجر طاقتها ومشعل فتيل همتها ، أما فى حالة البعد تصبح الروح واهنة تشعر معها كأنك جثة هامدة لا حراك فيها ولا حياة ، وحينها يكون كل أمنياتك أن تعود لتلك الروح وتلتقى بها فتعود إليك روحك ويضيئ قلبك من جديد.

فمن المحزن أن تكون فى عمر الإبداع والانجاز ، وتحمل طاقات مهولة وأفكار خلاقة ومبدعة ، ولكن وبكل أسف ما زلت تحتاج لشرارة الاطلاق ، أنت محتاج لدفعة أحدهم ، واكتمال الظروف لبدأ اشتعالك ، أنت أنت ولكنك بدون أحدهم لا شئ .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ

إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ

ألا اخبرك بشئ ؟! ، فى قلبى كلمات جمة تحتاج أيام وليالي لأخرجها ، منها ما أستطيع به التعبير عن حالى ، ومنها ما لو أصبحت كالنهر لا تنضب أبدا لن تستطيع التعبير عن معشار معشار ما فى جوفى ، كل ما أستطيع أن اخبرك به الآن ، أننا فى هذه الدنيا لنهون عن بعض قسوتها ولنتشارك همومها فتتحول النقم نعم ، وينقلب الحزن فرح ببسمة فى وسط الضيق وتربية على كتف وضمة وعناق.

لا أدرى إلى متى سيظل هذا الوضع الخانق لى والمكدر حياتى علىَّ ، كنت أقول ستنتهى هذه الهشاشة النفسية يوماً ما، ولكن بكل

أسف يحزننى أن أقول أنها باتت فى ازدياد كل يوم عن الآخر الذى يسبقه ، باتت أقل الأمور تجعلنى كارهاً لنفسى ناقماً على حياتى دافعاً لى إلى الاستسلام ، باتت أمور لو ذكرتها ستموت ضحكا هى التى تقلب مزاجى رأساً على عقب ، وتجعل ساعاتى تمر بلا فائدة وعمرى يسير بلا هدف وحياتى تنقضى دون اى جدوى .

ومع ذلك تأخذنا الحياة بلا هوادة ولا رأفة ، جاعلةً منا عبرة لمن لا يعتبر وعظة لمن لا يتعظ ، حين أنظر بعين الرضا أجد أن الله أكرمنى فوق ما استحق ، ولكن بعين الناقم على حياته الكاره لها المتمنى فى كل لحظة أن يفارقها ، يجد أنه فى ابتلائات تلو ابتلائات وبلائات تلو الأخرى ، والسبب فى ذلك كله هشاشته النفسية التي أصبحت أنا بسببها غير قابل على تحمل أى شىء ، ولا المقدرة على البذل أو حتى التفكير.

ولكن أكثر ما بات يقلقنى ، أنى بهذه الحالة وأنا من أنا ، فرد بطوله كما يقال ، لا يشغله سوى نفسه ولا يهتم إلا بهمه ولا يغتم إلا بغمه ، ومع هذا وصلت به الهشاشة النفسية إلى هذه المرحلة ، فما بالك بعد أن يتزوج فيصبح هو عائلة كاملة زوجة وأبناء بل وأب وأم وأخوات ، فيشغله الجميع وينسى نفسه ، ويهتم بهمه وهم غيره ويغتم بغمه وغم من حوله ، فإلى أى شىء ستوصله تلك الهشاشة ، لا أرى حقيقة مصيراً إن بقى على هذا الحال سوى الانتحار والعياذ بالله ، ليتخلص من عناء التفكير ومرارة التقدير وسوء الحسابات ، ولكن ما يصبرنى أن الله معنا ، ولكن ما يحزننى أكثر أننا فى لحظات هشاشتنا وضعفنا نبعد عن الله ويصبح التقصير في الطاعة سمة مميزة لنا بكل أسف ربما شعرت من قبل بغربة المكان أو غربة الجسد ، أما أن تشعر بغربة الروح فهذه لوحدها كفيلة بأن توردك المهالك وتدفعك

دفعاً لا إلى الاكتئاب إنما إلى الانتحار ، أن تشعر أن روحك لم تعد تتقبلك ولم تعد تشعر بارتياح بداخلك ، روحك تواقة لا تكل ولا تمل حتى تبلغ شيئاً أعلى فأعلى ، لم ترضى يوماً ولم تقنع بما لديها فى لحظة من الزمان ، تجعلنى دائماً فى صراع ، كأن بينها وبين الراحة عداوة لا تنقطع ، لا راحة من التفكير ولا راحة من البذل والعناء دون التركيز حتى فى الوجهة والاتجاه.

هذه الروح امرضتنى ، بل انهكتنى ، بل جعلتنى كارهاً للحياة بأسرها ، جعلتنى اقنط فى موضع الرضا ، واطمع فى موضع القناعة ، واتهور فى موضع الحكمة ، جعلتنى آخذ قرارات رعناء لا أدرى لأى شئ ستوصلنى ، أشعر أنى فى حاجة للراحة ، لأن أنام بلا قومة ، أحتاج للمزيد والمزيد من النوم ، أحتاج حقاً لأن أموت.

فأنا أحب الحياة ، أكره معاناتها ، أبغض الحيرة التى تتخل اختياراتها ، طبيعة الإختبار هى فى الإختيار " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا "، أنت سيد قرارك وأنت المسؤول الوحيد عن نتيجة اختيارك ، هذا ما يجعلنا نقف كل يوم تقريباً لنعيد حساباتنا ونتأكد من صحة طريقنا ، ولكن المحزن أنك لا تعلم معياراً واضحاً تضبط به بوصلتك وتقيس عليه صحة اختياراتك ، أنت فى بحر التيه لا تعلم شاطئ ترسو إليه ولا فناراً تهتدى به ، ليس أمامك سوى الله عسى أن ينير بصيرتك ويهديك سبل الرشاد تكمن حقيقة الدنيا فى صعوبة اختبارها ، والأشد صعوبة من معرفتك لحقيقة الإختبار هو قدرتك على الإجابة على الأسئلة ، والأشد صعوبة من هذا كله ، أن لكل منا اختباره الخاص ، وأن لكل منا إجاباته الخاصة ، فلا يوجد إجابة تصلح للجميع فى غالب الأسئلة ، ولكن هناك إجابة نموذجية وفق شرع الله ومراده نسعى لها جميعاً وإن كنا لن نبلغها فى هذا العصر حيث شيوع الحرام.

فأنت فى كل يوم مخير بين الحرام والحرام ، كأن الخير والحلال قد رُفع من هذه الأرض ، ولكن إن علم الله فيك الخير منعك من الحرام وأرسل إليك العلامات والدلائل بل أرسل إليك جنداً منه سبحانه يمنعونك المعصية ، فمن أكثر الأشياء التى باتت تؤرقنى الفترة الماضية غلاء الأسعار وضيق الحال وعدم قدرتى على تأمين تكاليف الزواج ، فطرقت باب الاستدانة كآخر سبيل ولكن لم يفتح إلا باب كنت قد رفضته فى بداية الأمر أن يعطينى أحد اقاربى مبلغاً أرده إليه ومعه الفوائد التى كان البنك يعطيه إياها ، فهذا ربا صريح لا لبث فيه ولا شبهة ، ولكن ماذا عسايا أن أفعل فأنت مخير بين هذه لتعف نفسك وتتزوج ، أو لتتركه فيكون مصيرك إلى مآل آخر أشد جرماً ، فأنت مخير بين الوقوع فى الربا أو الوقوع فى الزنا ، وكلاهما ميسر فى هذا الزمان الفاحش وحلالهما صعب المنال.

ولكنى بعد أن أخذت القرار واتفقت على الميعاد وبدأت فى التفكير فى كيف ستحل هذه النقود جزءً كبيراً من مشاكل الزواج المادية ، اذهب الى درس التفسير مع اصدقائى ، فإذ بالآيات تتحدث عن الإنفاق والربا ، سقطت الآيات على قلبى كالجمر تحرقه ، أو كصاعقة أخذت بأركانه ، فاللهم لك الحمد أن هديتنى من بعد الضلال فكان القرار أن أعود عن القرار الذي أخذته ، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيرا منه ، هذا ظنى بربى وعلى يقين أنه سيبدلنى خيراً منه .

ولكن عقولنا القاصرة وواقعنا الأليم ما زالا يصوران لنا أننا بين الوقوع فى الربا أو الوقوع فى الزنا ، أقول هذا وأنا اتقطع ألما ، أقول ذلك بعد أن خارت قواى من كثرة المجاهدة والسعى والتفكير .

أحياناً يشعر المرء منا بنار فى قلبه ولهيب يحرق فؤاده ، يشعر أن جوفه قد اشتعلت فيه نيران الألم فباتت تكوى جنباته وأحشائه ، حينها يذرف الدمع ساخطاً على حاله فتزداد ناره اشتعالاً بدل أن تنطفئ ، يبدأ فى التساؤل ، لماذا وكيف وأين ومتى ؟ ، تدور فى عقله آلاف الموضوعات فالأحزان لا تأتى فرادى ، فيأخذه موضوع إلى آخر فتزداد النار اشتعالاً وتعمى عينه من السواد الذى غطى بصره ، فيرى الحياة حالكة واقدار الله ظالمة له ولنفسه ، يرى الكون بعين الألم فيرى الكون كله قد تآمر عليه ليرديه المهالك ويجعله عبرة لمن لا يعتبر.

ولكن ربما لن يهون عليك كل هذا إلا استشعار الرضا ، ولن يجعل عقلك يهدأ إلا استشعار حكمة الله فى الأمور كلها وأنه لا يكتب لنا إلا الخير ، ولن يجعل نار قلبك تهدأ إلا استشعار قول الحمد لله ف الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله دائماً وأبداً ، الحمد لله على ما كام والحمد لله على ما هو كائن والحمد لله على ما سيكون .

فدمعة الرجل غالية عصية ، وخاصة إن كان مثلى ، له عقل يحكم سيره وقلب بالكاد يرشده ، فالعاطفة فى قاموسه شيئ قبيح فى حق الرجل ، ومع ذلك له قلب فياض يفيض بالحب والعاطفة ومعانى الرجولة والقوامة فى كل تعاملاته ، إلا إنه يكره نفسه حين تحكمها العاطفة ، كان عقله يهون عليه كل شىء حتى ما يكوى فؤاده ألما كان يتجاوزه بسهولة طالما أن العقل قال كلمته ، ولكن الآن تنهشه العواطف ، وتتلقفه الأحزان ، وتفتك به ألآم قلبه ، فتنزل دمعاته عزيزة فتحفر أخاديد فى وجهه لتدفن فيها أحزانه ولكنه نسى أن فى داخله نارا مشتعلة فتزداد بذلك اشتعالاً ويزداد هو ألما ، تزداد حرارتها وما هي الا صورة لحرارة قلبه .

****

نجاتك في معاهدة القرآن

ولكم تمنى المرء منا معاهدة القرآن ليل نهار ، يتحسس آياته ويستقى عبره وعظاته وتقوى صلته بربه يسمع كلامه فيفعل أمره ويكف عن نهيه ، ولكن العجيب كل العجب أن يتوقف الواحد منا عند الألفاظ دون استدراك المعانى ، أن يتحول القرآن بين يديه إلى شئ جامد لا روح فيه ولا حياة ، ولكن الآخذ الحق لكتاب الله يعلم جيداً أنه كلام الله أنزله وحياً على رسوله ، فكيف كلام الحى الذى لا يموت أن يموت ، فهو نور وضياء إلى أبد الآبدين يضيئ دروب الحيارى ويهدى الضالين المتخبطين فى بحور الشهوات والشبهات وينير بصيرة المتعلقين به التاليين له حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

إن مشكلتنا مع القرآن هو أننا نتعامل معه كأنه حدث تاريخى ، وحى نزل على النبى ومات بموته ، ولكن الحقيقة أنه لم يمت ولن يموت فهو باق إلى قيام الساعة يُحدث كل قوم فى كل زمان ومكان يرشدهم ويهديهم بما فيه من آيات وقصص فيها عبرة لأولى الألباب ، إنما من مات هو شعورنا نحن والذى بلى هو إيماننا نحن ، نحن الذين فرطنا فيه حتى تفلت من بين أيدينا ، نحن الذى اشغلنا عنه فتركنا لعزته ، نحن ونحن ونحن ، ويبقى القرآن عزيزا هادياً ومرشداً لمن أراد ، فقط قف مع آياته.

لا عجب أن رباً رحيماً يقول لنبيه(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ) ثم هو نفسه الرب الكريم يقول لنبيه (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) ، إنه هو نفس الإله ونفس النبى ، ولكن القولين مختلفين فالخالق أعلم بصنعته وأعلم بتكوينه البشرى ، حتى رغم كونه نبى إلا أنه يسرى عليه ما يسرى على البشر ، فتارة يهون عليه ويخبره بأنه يعلم ما فى صدره من ضيق ، وتارة أخرى يمن عليه أن شرح صدره .

نحن نحتاج إلى أن نتعامل مع أنفسنا بنفس المنطق ، إننا بشر نحزن ونفرح ، ننجح ونخفق ، ينشرح صدرنا ويضيق ، ولكن لننظر في الخطوة التالية بعد هاذين الموقفين ، فحل ضيق الصدر) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) ، وكذلك النعم تحتاج للشكر بالعبادة فمعها (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (، أى أن الأمر كله متعلق بالله وحده ، فإن كنا فى ضيق فلله نلجأ وإن كنا فى فرح فلله نلجأ ، بل الأعظم من ذلك أن تتعلق برب الأسباب لا بالأسباب ، قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

إننا نحن البشر - باختلاف مكانتنا ودرجة قربنا من الله - نجعل لعقلنا القاصر دوراً أكبر من دوره حين نتعامل مع أمر الله كأمر البشر وقدرة الله كقدرة البشر ، فها هى زوجة إبراهيم ، أمامها رسل من ربها يحدثونها ويبشرونها بغلام ، إلا أنها آثرت التفكير المنطقى وحسابات البشر التى لا تغنى ولا تسمن من جوع أمام أقدار الله ، قائلة (قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ) بل لم تكتفى بما لا تراه منطقياً من وجهة نظرها أو ملؤفا عندها وعند قومها ، بل اتبعت قولها هذا بقول أشد هو (إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيب.

هنا تأتى الرحمة الربانية والقدرة الإلهية أنه لا عجب من أمر الله ، وأنه إذا أراد شيئاً ما عليه إلا أن يقول كن فيكون ، فأمره نافذ وحكمه لا يحتاج دليل على حكمته ، وأننا نحن البشر ما علينا سوى التسليم التام واليقين الكامل بأن الله قادر على تبديل كل شىء بين غمضة عين وانتباهتها ، (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) ، ولا تسئلن كيف ولا متى ، إنما اجعل همك أن تنطرح على باب الحميد المجيد تقول يا رب وقلبك بنبض بيقين الإجابة ، حتى وإن طال فى نظرك البلاء.

وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ لما الحزن بعد كل ابتلاء ؟! ، ألا تعلم أنه من ربك ، هو أعلم بك ، يرسل الابتلاء إما ليهذبك أو يرفع قدرك فى جنات الخلود ، حاشاه أن يعذبك بالبلاء وأنت عبده ، حاشاه الرحيم الودود أن تدعوه وتلتجأ إليه فيكون جزائك عذاباً تتألم به فى الدنيا والآخرة ، ولكن حكمة الحكيم اقتضت لاختبار الحياة أسئلة ، وأسئلة الدنيا هى الابتلائات ، وبكل أسف سيكون ابتلائك فى ما تحب لا فى ما تكره ، فيزداد تعلقك ويزداد ألمك ويخالط قلبك الهم ، ولكن ما أن تعلم أن الأمر بيد الله وأنه القائل للشئ كن فيكون ، لا يعتريك إلا حسن ظنك بربك ، ولا يتملكك إلا شعور الفرج بعد الضيق ، ولا يشغل بالك إلا النجاح في هذا الابتلاء وتكون عبداً صبوراً شكوراً وتردد دائماً إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ترى كيف كان شعور نبى الله حين تلفظ بهذه الكلمات ، البحر من أمامك وجيش جرار يريد أن يفتك بك ، وقومك واتباعك ينتظرون منك الحل ويحملوك مسؤلية ما هم فيه ، الدنيا سوداوية حالكة الظلام والرؤية ضبابية لا ترى فيها انفراجة ، والأمر ضائق حتى تظن أنك هالك لا محالة ، ثم في كل هذا ، لا تزيد عن قولك إن معى ربى ، كأنك تقول هو ناصرى هو مدبر أمرى ومعينى ، هو كاشف كل كربة ومزيح كل هم هو الله ، فما يكون بعد هذا اليقين الصادق والإيمان القوى والقلب التقى النقى إلا أن ينفلق البحر بقدرة الله ومع ذلك كان الأخذ بالأسباب عاملاً مهماً أن اضرب بعصاك البحر ، ماذا تفعل عصا مع بحر يبتلع الأخضر واليابس ولكنها قدرة الله القائل للشئ كن فيكون .

الخاتمة

فى كل مرة أنوى فيها الاستسلام ، كان ما يدفعنى من جديد أنى أنا الوحيد الخاسر ، فهذه حياتى وهذا مستقبلى وكل ما فيه نتيجة قراراتي ، فمن تعاقب باستسلامك يا مسكين ، إنك أول المتضررين من خسارتك ، وكذلك أول الفائزين بانتصارك ، لا يهمك يا مسكين ما حولك ، أحسن الظن وتوكل على الله واستعن به وحده ؛ سيدبر أمرك بلا شك وسيهديك سبل الرشاد

الحائر